روايات مصرية

الحب والرعب 5

شايب بالأحكام

سالى عادل

Looloo
www.looloolibrary.com

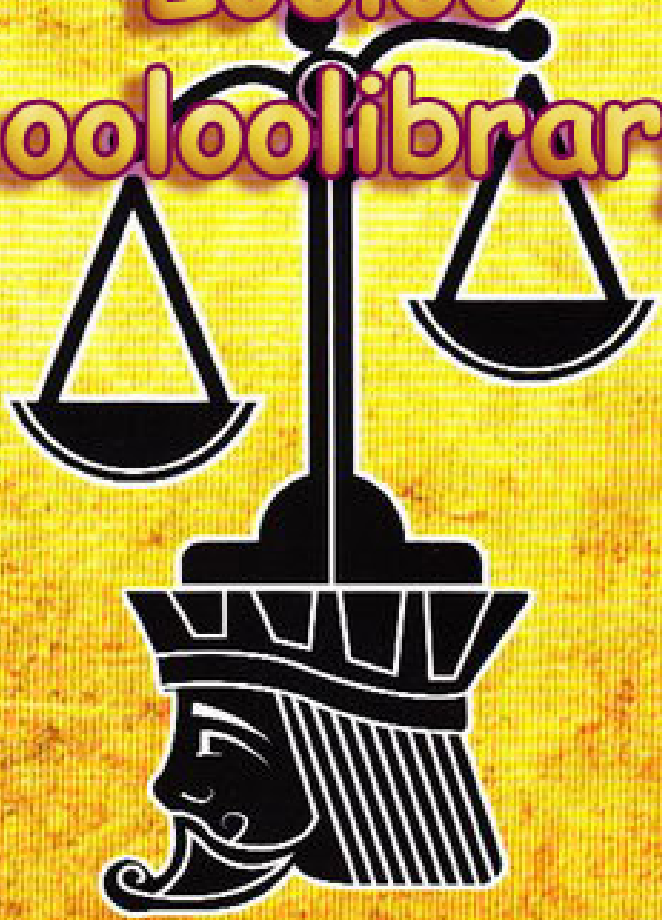

عن الحب والرعب ..

كنت أود أن أقول :

من قال إن الحب ليس مرعبًا ؟ أنت فتى كبير ومسئول ، فهل تستطيع رعاية من تحب ؟! هل تستطيع أن تنقذ فتاتك من الأوغاد واللصوص وقطّاع الطرق ؟! هل تستطيع أن تجنّبها السيارات المسرعة والأمراض والكوارث ؟! هل تستطيع أن تحميها حتى من نفسك ؟ ! أنت تنظر للباكين من فراق أحبائهم وترتجف خوفًا أن تهجرك ، أنت حتى لا تفكّر أن ثمة شيئًا يسمى (مـــوت) يتسبب فى فراق الأحباء ! هل تخاف أن تتركك وتموت ؟! هاه ! إذًا ، كيف يكون شعورك .. لو تركت الموت ، وعادت إليك ؟ !!

فقط ، كنتُ أتساءل .

Looloo
www.looloolibrary.com

عن لعنة (ليلى برهان) ..

استمع لى ، أنت تهمنى ، لو لم تكن تهمنى ما كنتُ لأنصحك : ابتعد عن (ليلى برهان) .

(ليلى برهان) لا تملك روحًا مثلنا ، إن لها نصف روح فقط ، والنصف الآخر حمله وفرّ به من يدعى (سامى عزيز) .

(ليلى برهان) لا تملك عمرًا مثلنا ، إن لها ربع قرن أخذته كاملاً وأنكرته ، ربع قرن لا تفعل شيئًا سوى اتساع العينين وسقوط الفك مع الارتجاف ، ثم الجلوس لأقرب مقعد تحكى لأول عابر عمّا أصابها ، ولا تنسى أن تخبره أنها لم تأخذ شيئًا من العمر ، ويمكنها أن تصوّب عينيها الكاذبتين إلى عينيك لمدى ما شئت دون أن تطرُف ؛ تقول إنها تريد عمرها .

(ليلى برهان) لا تملك اسمًا مثلنا ، إن اسمها ميراث من الماضى والحاضر سيحنى ظهرك ، ومتاهة من كتب النثر والشِّعر ستدير رأسك ، وأنشودة من أناشيد الحب والرعب سترجف بدنك ، ترعد عظامك ، تذيب أعصابك ، تجمّد دماءك ، تزيغ بصرك ، تشيب شعرك ، تخبّط أسنانك ، تفكك ركبك ، تنحل وبرك ، تقصف عمرك ، فتحلّ بالحكمة وانفد بجلدك من (ليلى برهان) .

(ليلى برهان) ــ أغلب الوقت ــ شعرها قصير ، يشاهدونه فى أوقات طويلاً . عينها سوداء ، تبدو فى مرات خضراء . وزنها مثالى ومع هذا تتبع حمية ؛ لأن الميزان يخبرها عن ضعف وزنها .

(ليلى برهان) ــ أغلب الظن ــ تعمل نادلة ، إنهم يشاهدونها تدخل وتخرج من مطعم غريب تحوم حوله القطط السوداء : ورديات عمل مسائية ، زبائن غرباء الأطوار ، وتقطيبة دائمة على جبينها ــ كما التعويذة ــ تطرد الأرواح الشريرة ، ومع هذا تجذبك أنت ، لأن روحك ليست شريرة ، وعودك الأخضر سينثنى على يديها حتى تسمع الطقطقة ، فتشبث بجبل يعصمك منها واركض إلى أبعد ما يمكنك عن (ليلى برهان) .

(ليلى برهان) ــ أغلب العمر ــ تجلس وحيدة ؛ ولذلك لا أفهم بالضبط سبب ضحكها فجأة ثم تكويرها قبضتها لتدفع بها فى كتف خفى ، لا أعرف سر توقفها فى الطريق لتحية من لم يوجد ، أو مغزى ردها على الهاتف حين لا يرن .

استمع لى ، لا تستمع إلى (ليلى برهان) !

ستندهك كما النداهة وستنجذب لها كما المجذوب . ستركض أميالاً خلف كلمة من شفاهها حين تنطق ، وستدمن حميميتها حين تنصت إليك بوجل ، وتجيب أحزانك بهمهمة لا أكثر لكن فيها كل المواساة ، وحين تصمت أنت سترفع إليك طرف عينها هامسة : « وماذا بعد ؟ » ، وستجد أنك تسترسل فى الحكى حتى لتفتح قدس أقداسك ، وتفصح عن سر أسرارك دون أن تعى ، ثم تسكب فوقه روحك فى فنجان وتقدمه لها . ثم أخبرنى بعدها كيف ستعيش من دون روح .

Looloo
www.looloolibrary.com

ستحبها ، ولن تقدر أن تخبرها أنك تحبها ، ستكتفى منها بتربيت كتف الأصدقاء ، ستكتفى أن تلمح قلقها عليك إذا ما سعلتَ وركضها لتجلب كوبًا من الماء والدواء ، تكتفى أن تحدثها عن صديقك الذى يحب من طرف واحد ، وتحدثك هى عن أحبائها الجدد الذين لستَ أحدهم . وفى اللحظة التى تقرر بها أن تتغلب على مخاوفك وتصارحها بحبك ستتراجع سنتيمترات للوراء ، ترسم الدهشة على وجهها فى حين تخبرك فيما يشبه الحرج : « ولكنى حكيت لك عن حبيبى الجديد » .

وستعرف أنت أن حبيبها الجديد هو غريمك القديم .. هو عدوك الأوحد ، هو من يُدعى (سامى عزيز) ، وأنّ كل حبيب غيره يأتيها حاملاً حياته على كفّه ، فتنتقى منها بعض الدفء ، بعض السعادة ، بعض الصبر على فراق (سامى عزيز) ، ثم ترد إليه كفّه . وأنت مسكين يا أنت . أنت اسمٌ على قائمة أطول من الليالى السوداء التى تنتظرك فى عشق (ليلى برهان) .

ستعلم ــ متأخرًا ــ أننى صدقتُ حين أخبرتك أن (ليلى برهان) ملكة الاحتمالات وسيدة التناقضات وبطلة الحكايات غير المكتملة ، إنها حنونة وقاسية ، وإنها قد تحبك ، وقد لا تأبه بك على الإطلاق ، ستعرف أنها ناعمة كالثعابين ، ودمعتها قريبة كالتماسيح ، وقليلة الحيلة كما الـ (أنثى) ، أقول لك : أ ــ ن ــ ث ــ ى ، وأنت تعرف كم عظيم كيدهن !

ولن تعرف ، لا أحد يعرف لماذا تستخدم تلك البريئة أناملها الصغيرة لتكتب الرعب دونًا عن الأنواع الأخرى ، لا أحد يفهم لماذا تستخدم صوتها الرقيق لتقرأه على نفسها قبل الآخرين ، ولا أحد يلمح التماع عينها باللذة حين ترتجف خوفًا من حرف كتبته بنفسها .

انتبــه لى ..

أنا هنا فى الظلام أتكبد نصيحتك ، وأنت تسعى بإصرار لأن تصيبك لعنة (ليلى برهان) ، ألم تحاول أن تسأل نفسك :

لماذا تترك (ليلى برهان) العمل فى مجال دراستها كصحفية واعدة وتفضّل أن تعمل نادلة فى ذاك المطعم المريب ؟!

لماذا تترك البشر على الأرض وتصادق شبحًا على الإنترنت تناديه (فانتوم) وتبث إليه حكاياتها عن عوالم لا أدرى كنهها ، وشخصيات ليست على ما يُرام ؟

لماذا تتزوج بواحد فى حين تهيم بآخر ، ثم يظل بقلبها متسع لـ (عاصم) و(نائل) و(إيهاب) و(فريد) و ... أخشى أن أنسى أحدهم !

ولماذا بعد كل هذا ، تظل تأمل أنت ــ فى أسعد أحلامك ــ بأن تصير أحدهم ؟!

ألم يخطر ببالك مرّة أن تسأل تلك الأرملة الحزينة المسماة (ليلى برهان) :

Looloo
www.looloolibrary.com

كيف صارت أرملة بعد زواجها بهذه السرعة ؟ وأين ذهب الطفل الذى كانت تحمله ببطنها ؟ !

لم يعد هناك وقت ، استجب لى ، لا تقترب من (ليلى برهان) ، لا تعبر بشارع عبرت به (ليلى برهان) ، لا تبحث فى ذاكرتك ، لا ترسم فى مخيلتك ، ولا تردد فى خاطرك جملة تحمل اسم حبيبتى (ليلى برهان) .

بإخلاص ..

أحدهـــم .

« هل تلعب معنا الشايب ؟
قبل أن تجيب فكر أنه سيكون عليك
تنفيذ الأحكام ! »

Looloo
www.looloolibrary.com

مقدمة

(أيها القادم ترفّق ؛ سُلّمة الحاضر نخرة ، تُسقطك إلى المستقبل ، وليت المستقبل أفضل ! فتمهل) .

هرشتُ رأسى وتفكّرت بعمق :

ــ هممم ... تقول عندك مشكلة ؟

ــ نعم .

ــ تقول تحب من طرف واحد ؟!

ــ أجل .

ــ وأنا وجدتُ لك الحل .

ــ وماذا تنتظرين ، قولى سريعًا ..

ــ أنت تحتاج لأن تلعب معها الشايب .

ــ ماذا ؟!!

ــ بالأحكام ، العب الشايب بالأحكام .

ــ أتسخرين ؟!

ــ بل أنا أشد جديّةً مما تظن ..

سأحكى لك ، (فانتوم) ،

سأحكى عن الأشد جموحًا من الخيال ، والأشد احتمالاً من الواقع ، والأشد عبثًا من كليهما ...

* * *

1

الأشد علوًّا من القمر !

حملتُ حقيبتى وصعدت الحافلة ، وجلستُ أرقب (فادية) إذ تصعد بدلال وتجلس أمامى .. (فادية) ربما كان اسمها قديمًا لا يناسب فتاة عصرية مثلها ، لكنى أؤكد لك أن كل ما عدا ذلك كان مناسبًا : الجسد المنحوت ، الملابس المثيرة ، المكياج الصارخ .. فإذا أضفنا لهذا جرأتها ودلالها الذى أعرف ــ وحدى ــ أنه مفتعل ، فأنت تتحدث عن حورية من الجنة ، أو شيطانة من الجحيم ، وفى الحالتين لا يمكن لرجل أن يقاومها .. ولحظى النحس ، وقع اختيارها على (سامى) بالذات .

صعد (سامى) حاملاً حقيبتها ، وجلس جوارها . تملكنى السخط ، لا أعرف لماذا وافقت على الطلوع فى هذه الرحلة ، بالرغم من أنى أعذّب نفسى بهذا الشكل .

سألنى (ضاحى) :

ــ أهناك من يجلس جوارك ؟

ــ لا .

انتقلت إلى الكرسى الداخلى ، نظرت إلى الشبّاك وسرحت فى خواطرى .. لماذا لم أفعل مثلها ؟ لماذا لم أبادر بلفت نظر (سامى) ؟ لكنهم قالوا لى أن هذا خطأ ، وأن البنت فقط تجلس وتنتظر حتى يلتفت لها نصيبها من تلقاء نفسه ! وها هى النتيجة : خطفت منى هذه

Loolou www.loolooLibrary

الوقحة (سامى) ، وأنا لا أقول أنه كان لى قبلها ، لكن على الأقل كانت عندى فرصة ، أما الآن ، فأى فرصة لى جوار (صار ...) أقصد (مُز ...) .. أعنى فتاة مثلها !

وهذا لا يعنى أننى قبيحة ، (فانتوم) . عن نفسى ، فأنا يمكننى أن ألفت الأنظار جيّدًا ، ولكن هى .. إنها لا تنجح فى لفت الأنظار فقط ، بل وعمل غسيل مخ لها ، ثم الإقفال عليها كى لا تهرب لأى مكان آخر ، بالرغم من أن اسمها (فادية) !

صحت فى سخرية :

ــ هه ! من يهتم بالأسماء !

ــ مـاذا ؟

التفتُ إلى (ضاحى) :

ــ لا شىء ، أتفطر ؟

أخرجت بعض الشطائر وبدأت ألتهمها ، سألنى :

ــ هكذا مباشرة ؟ الحافلة لم تنطلق بعد .

ــ هكذا أنا ، آكل قبل انطلاق الحافلات !

ووضعت شطيرة فى يده . إن لم آكل الآن ففيمَ أخرج طاقتى ؟ علامَ أصب غضبى ؟ ثم تذكرتُ شيئًا ، التفتُ إلى (ضاحى) :

ــ أتعرف كم واحد بالدفعة لا يهتم لـ (فادية) ؟

ــ أعرف واحد فقط : أنا .

ــ إجابة صحيحة ، تبدو فعلاً غير مهتم بها ، ولكن لِمَ ؟

ــ ليست الطراز الذى يعجبنى .

ــ إجابة خاطئة ، لأنها لم تفكر بعد فى استقطابك . أكمل شطيرتك ، (ضاحى) .

ليظن ما يظنه ، ليظن أنه البطل الذى خالف القطيع ولم ينسق وراء (فادية) ، ليظن أنه أقوى من أن يتأثر بدلالها ، الحقيقة ببساطة أنه أقل من أن يمثل تحديًا لها ، أو حتى تلتفت له ، هكذا هو فى سلام حتى الآن .

لم أكن من الطراز الذى يهتم بالحكايات والنميمات فى الدفعة : من أحب من ؟ من ترك من ؟ لماذا لا تجلس (رشا) جوار (مدحت) كعادتهما ؟ لماذا أخذ (سامح) كشكول محاضرات (غادة) بدلاً من (دعاء) ؟ بالتأكيد إن (منى) تجذب يدها من يد (أمجد) لأنه وقف يتحدث ربع ساعة مع (فادية) بالرغم من أنها حذرته .

وما شأنى أنا ؟ ومن أين سأحصل على (دماغ) لهذا كله ؟ فليحترقوا جميعًا ولأبقى فى سلام . لكن حينما انتبهت إلى (سامى) بيننا فى الدفعة ، كان مختلفًا عن الآخرين ، ولم يكن مرتبطًا بأحد ، وكما كانت (فادية) نجمة الدفعة ، كان هو نجمها ، وأثار إعجاب كل الفتيات بأناقته ، ووسامته ، ومناقشاته العلمية فى المحاضرات ، كان يجادل الأساتذة بمنطق لا قبل لهم به ، يستخدم ألفاظًا رنانة لا نفهمها حتى معناها :

Looloo

(أيديولوجيـــة) ، (بيروقراطيـــة) ، (ديماجوجية) .. وكنت أبحث على (جوجل) فأعرف أن البيروقراطية مثلاً مرادفة للروتين ، والديماجوجية هى خداع الشـــعب ، ومع هـــذا لا أفهم لماذا لا يستخدم (سامى) لفظتى (روتين) و(خداع) وخلاص ! لا أعرف لماذا يصر (سامى) على وضع نقطتين فوق التاء المربوطة ، أو تحت الياء فى آخر الكلمة ... كلنا ننسى !

فيا بعد ترسب داخلى أنه من الضرورى أن يستخدم (سامى) هذه الألفاظ ؛ (سامى) ليس مثلنا كى تستخدم لغتنا ، (سامى) أرقى من الجميع ويجب أن يكون له قاموســـه الخاص لا يتشاركه معـــه العامة والرعاع . بدأت أفهم لماذا (سامى) ليس مرتبطًا ، فعروس (سامى) لن تكون ممن يعيشون على الأرض بيننا ، ولا حتى أنا ، وإذا أطلقت المجال لخيالك ، ستجد الكثير من الخيارات المناسبة .

ولكن يبدو أنه حتى (سامى) فى النهاية رجل يمكنه أن يتأثر بإغراءات (فادية) ، هكذا ذات يوم وجدناهما معًا ، وكل يوم . ومنذ تلك اللحظة اتخذت قرارًا جريئًا : أنا لن أبتسم ثانيةً فى وجه (سامى) ، ولن أنظر فى عينه ، لكنى أنظر إليه إذا ما أدار وجهه . فمهما كان ما بى ، لن أسمح لأحد بأن يعرفه .

أفقت على ســـؤال (ضاحى) الذى يبـــدو أنه أفاق للتو من الصدمة :

ــ إذًا أخبرينى ، كم واحدة بالدفعة لا تهتم لـــ (سامى) ؟

ــ على الأقل هناك واحدة : أنا .

ــ إجابة صحيحة ، يبدو فعلاً أنكِ لا تهتمين ، لكن لِمَ ؟

ــ لا يروقنى .

ــ إجـــابة خاطئة ، لأنكِ لم تتمكنى مـــن أن تجذبى انتباهه ، أكملى شطيرتك ، (ليلى) .

وقفت اللقمة فى حلقى ، كيف يمكن أن يعرف هذا ، أنا أخفى هذا السر فى أعمق أعماقى ، لكن ..

ــ « الحب لا يخفى فى عين عاشق » .. سمعتها فى فيلم ما ..

تابع (ضاحى) :

ــ ها أنا مثلاً .. هل أنجح فى إخفاء مشاعرى تجاهكِ ؟

تقريبًا شرقت ، لم أكن أحب أبدًا أن تصل الأمور إلى هذا الحد ، من الجيد أن يلتزم الناس برداء يحفظ عوراتهم ، التعرى ليس ظريفًا ، وليس فى الحافلات العامة ، رحت أسعل فى جنون ...

التفت (سامى) وسألنى :

ــ ما بكِ ؟

نظرت له بامتعاض :

ــ انظر أمامك ، لا شىء !

نظر لى باستغراب قبل أن يستدير . الآن تسأل عمّا بى وأنت السبب فى هذا كله ؟ شعرت بالدمعة تخنقنى ، كم أتوق لمكان أختبئ فيه ! لا تطعهم أيها السائق ، لا تذهب إلى القناطر أو الصعيد ، اذهب بنا إلى مقبرة بعيدة بعيدة ، لا يعرف طريقها أحـــد .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

2

الأشد هزلاً من اللعب !

يبدو أننا وصلنا . عرفت هذا من مقطع « سالمة يا سلامة رحنا وجينا بالسلامة » الذى يرددونه بلا توقف ، دون أن يسألوا أنفسهم : ما الذى يأتى بعده ، ودون أن يدركوا حتى أنه غير مناسب للوصول ، وإنما للعودة .

همم .. خاطرة كهذه تعطينى مؤشرًا عن حالتى النفسية ، لا يمكن أن أبدأ الرحلة بتصيد الأخطاء للرفاق المسالمين الذين لم يقترفوا جرمًا غير أن احتفلوا بوصولهم بالغناء .

سيكون علينا أن نوزّع أنفسنا ثنائيات على الغرف ، ولا أنوى التودد لإحداهن كى تشاركنى الغرفة ، ولذلك لا أملك غير الانتظار لأرى من ستكون زميلة غرفتى . وكان قرارًا خاطئًا حيث وجدت (فادية) تخبرنى :

ــ لم يبق غيرنا للغرفة الأخيرة .

ــ هذا يسعدنى يا حبيبتى .

ــ وأنا سعيدة موت .

وابتسمتُ لى فابتسمتُ لها . جاءنى (ضاحى) مندهشًا :

ــ ما بكِ يا (ليلى) ؟ لكِ دقائق وهذه الابتسامة ملصقة بوجهك .

ــ حقًا ؟ سأذهب أرى غرفتى .

غمز بعينه فيما يبتسم :

ــ تقصدين : (غرفتكما) .

نعم يا (ضاحى) ، غرفــ (تنا) وليست غرفــ (تى) ، هناك (ناها) وليس (نيها) وفق التعبيــر الشهير ، فلماذا أشــعر أنك سعيد مــن أجل هذا ؟!

جلستُ النهار أفرغ محتويات حقيبتى ، إن قضاء خمسة أيام مع هذه الفتاة لهو مقياس لقوّة تحملى ، لكن ما حيلتى ؟! لم أستطع أن أتركهما ينعمان بالرحلة وأظل فى البيت أحترق بفكرة : أننى أحترق فى البيت وهما ينعمان بالرحلة !

بقيتُ فى غرفتى طوال الوقت ، وعندما عادوا من الشاطئ فى المساء جلسنا فى بهو الفندق نشاهد التليفزيون ، ونتسلى بفعل لا شىء .

أخرجت (فادية) كوتشينة وتساءلت :

ــ أتلعبون ؟

صاح الشباب صيحة رجل واحد :

ــ نعم .

والتفّوا حولها ، قالت :

ــ الشايب !

Looloo
www.looloolibrary.com

سنلعب شايب بالأحكام ،

أحكام لذيذة موت .

موافقون ؟

مفهوم ، مفهوم ، بالتأكيد (موافَقَة) . جلستُ إلى جانب الفتيات نمارس قضم الأظافر وجز الأسنان وندّعى أننا نشاهد التليفزيون ، وبين الحين والحين ترن ضحكة (فادية) ، وتعقبها بحكم على المسكين الذى بقى الشايب فى جعبته .

بالتأكيد ، (فانتوم) ، لم يكن يحـق لها فى كل مـرة أن تصدر الحكم ، لأنها لم تكن (الكينج) فى كل مرة ، لكن أخبرك ببساطة أنه ما أن يصير أحدهـم الكينج حتى يتنازل عن حكمه لـ (فادية) . والعفريتة لم تسمح لهم مرة بإصدار حكم عليها ، إذ لم يقع الشايب مرّة معها ، أو بمعنى آخر : كانت تمرره بسهولة ، يكفى أن تغمز لسعيد الحظ الذى سيسحب ورقة منها ، وترفع له قليلاً الشايب ، حتى يأخذه راضيًا غير عابئ لو يموت الآن بعدما ابتسمت له (فادية) .

كانت ليـلة سخيفة ، وكلهم كانوا حمقى ، ولا أستثنى (سامى) . كان أحمق ورائعًا وكنت أرى تخبطه فى حب (فادية) فأشفق عليه وأتمنى لو يمكننى مساعدته حتى ولو لم يصر لى .

وبالرغم من سخافة الليلة إلاّ أننا ضحكنا كثيرًا على الأحكام التى أصدرتها (فادية) ، بالرغم من كل شىء لا تخلو الساحرة من روح

الدعابة . كانت أحكامها قاسية ، ومبتذلة ، وطريفة . وتأتى طرافتها من ملاءمتها للموقف؛ فمثلاً (عبد العال) قصير القامة اضطر إلى أن يصعد فوق المائدة ويقول عشر مرّات : « أنا مش قصيّر قزعة ، أنا طويل وأهبل » ضاربًا بقبضته الهواء فى حماس .

و(رفاعى) النحيف فقد طلبت منه أن يجلس محتلاً الأريكة كلها ، ويقول بذات الحماس : « أنا قد الفيل ، وأوزن برميل ! »

أمّا (قاسم) الأشقر وجد نفسـه جالسًا إلى الأرض وقـد أثنى ركبتيه ، وأمسك بطرف خيط ملفوف حول طبق فى يد (فادية) ، والتى وقفت تدق على الطبق كـ (طبلة) فى حين يغنى الجميع : « اللـ اللـ الـ يا ميمون .. وكمان الـ للـ أكـون ممنـون » ثم بدءوا فى مخاطبتـه : « مش أنت القرد ؟! » فى حين ينفى هو : « لا هـو القـرد » .. وقـد ذكرنى هـذا بـ (إسماعيل ياسين) و(شكوكو) ، وقد ضحكت قبل أن أدرك كم أن هذا سخيف !

وفى الصباح التالى وبينما نفطر بدا لى (عبد العال) أطول قليلاً ، و(قاسم) أقبح قليلاً ، أما (رفاعى) فكان يوصل الطعام بالطعام وبعد أن فرغنا من الإفطار ، تأكد بنفسه من نظافة الموائد !

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

3

الأشد عمقًا من المجاز !

أرقبهـا إذ تتمايل بيـن الموائد مرددة لحنهـا المفضل هـذه الأيـام :

« العب العب العب »

فيردد الرفاق معًا :

« آه يا سيدى »

« العب العب العب »

« آه يا روحى »

« علشاان حبك قوى »

من الجيـد أن يمرح الجميع ، بينما تبقى وحدك الشىء الـذى يذكّرهم بالغمّ .

لا ، (فانتـوم) ، لا . مـن فضلك لا تخبرنى أنى أتوهـم .. أنا أعرف أن تلك السنتيمترات التى أضيفت إلى طول (عبد العال) ليست كثيرة ، لكن منذ متى يطول المـرء فجـأة ؟ أعـرف أن التجعيدات التى غزت وجه (قاسم) تكاد لا تذكر ، لكن عمره معنا فى الكلية وسيم والآن يصبح

دميمًا ؟ (رفاعى) الذى لا يكاد يُرى من فرط نحافته يصبح شرهًا للطعام لهذا الحد ؟!

هـم ؟

ومنذ متى يأبهوا ؟

بالتأكيد لم يلاحظ أحد من الرفاق شيئًا ، وحتى وإن لاحظوا ، أحـد لن يجرؤ أن يلوم (فادية) أو يحملها وزر ما يحدث ، فـ (فادية) : هى الملاك الذى لا يُخطئ ، أما أنا فبت أعتقد بحق أن هذا الملاك أشر مما يبدو عليه . ثمة علاقة قوية بين أحكامها وبين الطفرات التى حدثت للثلاثة ، وكأنها تنبأت لهم بالطول والقبح والسمنة ، أو لنقل ، وكأنها (حكمت) عليهم بهذه الصفات ، بالمعنى الحرفى للكلمة : هل هى ساحرة ؟ عفريتة ؟ لقد سبق أن نعتها بتلك الصفات مجازًا ، فهل هى كذلك حقيقة ؟ أى قوة غاشمة فى يدها ؟!

أم .. أم أكون أنا من وهبها هذه الصفات حين نعتها بها ؟ أتكون لى القدرة على أن تتحقق مجازاتى ؟ أتكون القوة الغاشمة بيدى أنا ؟ أم يكون الأمر كله متعلقًا بالكوتشينة ؟ الكوتشينة التى أخرجتها من حقيبتها ولعبوا بها !

مهما تكن الحقيقة ، يجب أن أعرفها . هكذا اتخذت قرارى : فى المرة التالية التى يلعبون فيها الكوتشينة ، سأكون أحد اللاعبين .

Looloo
www.looloolibrary.com

« العب العب العب »

« آه العب »

« العب العب العب »

« آه يا سيدى »

« لعيييب حريف .... »

ثم نظرت لى (فادية) وأكملت :

« مــوت ! »

* * *

4

الأشد رهبة من الغـول !

مساءً ، أنهيتُ استعدادى ونزلت إلى البهو ، لن أنتظرها حتى تنتهى من كل التعقيدات التى تصنعها فى نفسها . أعرف أنها ستأتى وستحمل معها أوراق اللعب ، فهى لن تكتفى من الكوتشينة بمرح أمس ، مهما يكن ما تدبّر له فإنه ممتع وسيتكرر ، ولذلك لم أتعجل حضورها .

ها قد لاحت فى ثوبها الأبيض لكأنما سنصدّق أنها ملاك ! تعلقت كل الأبصار بطرف الثوب . خطت نحو إحدى الموائد حاملة الكوتشينة بيدها ، ثم بدأت توزعها على أربعة لاعبين وهميين . رآها الرفاق فالتموا حولها راغبين فى اللعب ، لكنها قالت :

ــ سورى يا رفاق ، هذه اللعبة تحتاج أربعة فقط ، سأبدأ أنا و(سامى) و(ضاحى) و(ليلى) ، وأنتم فى الأدوار التالية ، أوكاى ؟

هتفتُ فى سرعة :

ــ لن ألعب .

فأنا من يحدد متى ألعب وليس هى ، قالت :

ــ أتخافين الهزيمة ؟

إن كانت تستفزنى للعب فيمكنها أن تؤدى أفضل ، أقول فى بلادة :

Looloo
www.looloobooks.com

ـ فى الحقيقة نعم .

تقول بغل :

ـ إذًا تستحقينها ؛ فالخوف أكبر هزيمة .

ثم تميل على (سامى) قائلة :

ـ ألم أقل لك إنها جبانة ؟!

ها قد أدّت أفضل ما يمكن ، أختطف الكوتشينة من يدها ، وأبادلها غلاً بغل :

ـ ماذا سنلعب ؟

تبتسم فى بساطة :

ـ الشايب .

ثم نستدرك بصوت عميق :

ـ لكن بالأحكام ..

سنلعب شايب بالأحكام ..

أحكام جادة ، حقيقية ليست ساذجة كأحكام أمس ..

أحكام تسرى على الرقاب ، انتهى زمن المرح ..

من أراد الانسحاب فلينسحب الآن حالاً ، لأنه بعد دقائق سيتمنى الانسحاب ولا يناله ..

فكّروا ، والحقوا بى على المائدة .

إن كانت أحكام أمس التى تسببت فى ثلاث لعنات ساذجة ، فكيف تكون الأحكام الجادّة ، (فانتوم) ؟!

(سامى) لحق بها ، لكن لم يفكر . (ضاحى) نظر لى ، هو فكر وقرر أنى لو لعبت سيلعب . وأنا ، لن أحصل على لقب (جبانة) مرتين فى دقيقة واحدة . هكذا ، دار اللعب .

حين تلعب (فادية) الكوتشينة ، تكتسب ملامحها جلالاً مهيبًا ؛ تشعر أنك تلميذ يغش وقد فُضح أمره . وذات مرة ، كدتُ أسحب الشايب من (ضاحى) ، ولكنه لينقذنى أبعد يده وأعاد تفنيد الورق ، هنا تبدّل وجه (فادية) تمامًا وصرخت :

ـ لا تفعل هذا ! نحن نلعب بجد !

ثم استدركت بصوت رهيب :

ـ أنا أكره الغش موت !

ت !

ت !

ت !

Looloo
www.looloolibrary.com

رنّت الكلمة فى أذنى ، شعرت بالرهبة برغم عدم استساغتى لجملة : (نلعب) (بجد) !! كيف تصح هذه التركيبة ، أليس اللعب عكس الجد ؟! ثم منذ متى تكره (فادية) الغش ؟!

بالمجمل ، لا أنكر ، نجحت (فادية) فى قذف الرهبة فى قلوبنا ، وجُل ما كنتُ أخشاه أن أحصل على الشايب فى النهاية ، فأنا أعرف القواعد جيدًا :

1 ــ (فادية) لا يقع معها الشايب أبدًا .

2 ــ (فادية) هى من يصدر الأحكام .

3 ــ (فادية) أحكامها تسرى .

سحبتُ ورقة من (ضاحى) : زوّجت ورقتين ، منحت ورقتى الأخيرة لــ (سامى) .. مهلاً .. أصرتُ الــ (كينج) ! غريب ورائع ! تُرى على من سأحكم ! هذا بالتأكيد لأنى لا أنوى التنازل عن حكمى لــ (فادية) .

هذا ما دار برأسى حينها : ألا أتخلى عن حكمى لــ (فادية) ، لأنه فى أسعد أحلامى لم أكن أتخيل أن أحكم على (فادية) ! وحين بقى الشايب معها فى النهاية شعرت أنى حصلت على كنز أو إرث ، وإن ظل بداخلى ترسبات من شعور أنى لا أستحقه ، لطول ما استبعده عقلى ، رحت أهتف بانتشاء أننى سأحكم على (فادية) ، فالتمت الفتيات تهنئننى وتحضننى ، ونتداول السعادة بيننا ، حتى كدتُ أنسى أن أصدر الحكم !

لحظة من فضلك ، ها قد تبدلت القاعدتان الأوليان ، فهل تتبدل الثالثة ؟

مهما يكن ، ليكونن حكمى قاسيًا كأحكامها ، أنا لن أسخر منها أمام الناس ليضحكوا كما فعلت ، كما استغلت تأثيرها عليهم لتدفعهم لأن يقوموا بأفعال مخزية راضين مبتسمين أن نالوا رضا الملاك الساحر . أنا لست من مدرسة الآلام النفسية ، وإنى لأفضّل الآلام الجسدية حيث تؤلم ، وتعلّم .

نظرت للساعة : منتصف الليل ، وضعت ساقًا على ساق :

ــ ستخرجى الآن من الفندق ، تذهبى إلى الشاطئ ، تتوغلى فى البحر عدد مائة خطوة ، ثم تعودى .

ــ مائة ؟

ــ لو تسع وتسعون لن أغضب . لكننى ، ولأضمن تنفيذ حكمى ...

بدلت ساقاى :

ــ سأتبعك .

هتف (سامى) :

ــ لا .. لن يحدث هذا ، إذا أردتِ واحدًا ينفذ لكِ حكمك فهو أنا .

آه .. (سامى) ! هذا ليس وقت الشهامة ! أنت لا تعرف شيئًا عن هذه الشيطانة ، أردتُ أن أقول شيئًا عن المساواة :

ــ أرجو أن تدع العواطف إلى جانب ، أكنت لتقوم أيضًا بتنفيذ الحكم لو أنى أصدرته علىّ أنا ؟

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ تصدرينه عليكِ !! كيف ؟!

ـ أعنى ... يعنى .... لو أنى أصدرته على (ضاحى) مثلاً !

أيها الذكى ، لماذا لا تجيب وكفى ! هل كنت لتقوم به عنى ؟! على أى حال لم يجب (سامى) حيث أوقفته (فادية) بإشارة من يدها :

ـ سأنفذ الحكم . القواعد هى القواعد .

ثم نظرت إلى (سامى) وقالت :

ـ سورى موت ..

يعجبنى الشياطين العادلين . خرجنا معًا إلى البحر فى هذا الظلام ، وكان بودّى أن أشبهه ـ كما يشبهونه ـ بالغول ، ولكن الغيلان أجسادها ليست بهذه الضخامة ، وأصواتها ليست بهذه الضجة ، وفمها لن يكون بهذا الاتساع ، كما أن الغيلان لا يُضرب بها المثل فى الغدر .

نظرت إلى السواد الذى هو موضع أمواج البحر ، أن يكون بشرًا بالداخل : ارتجفت !

بالله كيف أمكننى أن أحكم حكمًا كهذا ! فكّرت أن أتراجع عنه : « خلاص فادية ! عفونا عنكِ ! » لكن أعرف أنها لن تقبل شيئًا كهذا ، وربما أحرجتنى أمامهم قائلة أنها لا تحتاج إلى عفوى .

هكذا ، تسللت (فادية) إلى الداخل . خطوة ، اثنتين ، استدارت تنظر لنا فى ... همم ... لا أدرى ، هى نظرة تقطّع القلب . أكملت طريقها .

كنت أعد معها :

ثلاث ، أربع ، خمس ..

رقم مائة بعيد جدًا . كيف يمكن أن أكون بهذه القسوة ؟! ماذا لو أنها مجرد فتاة رائعة الجمال مما أصابنى بالغيرة ودفعنى إلى تشويه هذا الجمال بتلك الظنون التى أظنها .

عشر ، إحدى عشرة ، اثنتا عشرة ..

لماذا لا أكون توهمت هذه الظنون ثم صدقتها أنا نفسى ، هل يوجد مجنون بالعالم يعرف أنه مجنون ؟!

ثلاثين ، إحدى وثلاثين ، اثنتين وثلاثين ..

حتى لو أنها شيطانة أو قوى ما غير طبيعية تتملكها ، فهل حكمى هذا الذى سينقذنا منها ؟! هل فعلاً : « إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت » ، أم مجرد الانتقام من الفتاة التى استأثرت بحب (سامى) ؟!

خمسين .. إحدى وخمسين ، اثنتين وخمسين ...

الماء أسود مثلج هادر : لونه ، ملمسه ، صوته مخيف .. لو أنهم دفعوا لى كنزًا ما نزلت فيه شبرًا .. كيف قبلت أن تنزل ؟ لماذا لم ترفض ؟!

سبعين .. إحدى وسبعين .. إحدى وسبعين .. إحدى وسبعـ ....

تعبت من العد ، وتعبت من التفكير .. ولم يعد لها أى أثر فى تلك العتمة ...

Looloo
www.looloolibrary.com

(سامى) جوارى يكاد يجن .. يقطع الفراغ وينظر إلى البحر وينظر إلىَّ .. حتى لحظة : أمسك ذراعىَّ بعنف وقال :

ــ لو حدث لها شىء فلن تفلت أبدًا بفعلتك .

لم أفعل إلاّ أن بكيت ، كانت كل هذه المؤثرات فوق احتمالى ، لم يجد فائدة منى فترك ذراعىَّ وخلع قميصه وانغمس فى البحر . لكنه توقف ، تجمد بصره على الرجل الخارج من البحر حاملاً فتاة على ذراعيه ، تجمدت دموعى ودقات قلبى ، شهقت :

ــ (فادية) !

ألقى بها على الشاطئ : غائبة عن الوعى ، غارقة فى الماء . أنزل الرجل (فادية) إلى الشاطئ وراح يسعفها . كانت عينى ممتلئة بالدموع ، ومع هذا لم يفتنى أن ألحظ النظرات النارية التى يصوبها (سامى) للرجل . بدأت (فادية) تتحرك وتلفظ الماء من صدرها ، فتحت عينيها تتطلع إلينا بنظرة خاوية ، جثوت جوارها أحتضنها وأردد :

ــ الحمد لله على سلامتك يا (فادية) .. الحمد لله !

وطلبت منها السماح عشرات المرات ، حتى شعرت أنى وإن لم أقتلها غرقًا سأقتلها بإلحاحى ، وكانت هى واهنة جدًا ، على وجهها نظرة فارغة ، نظرة عدم الفهم ، احمدى الله أيتها المدللة ، لقد كدتِ تموتين .

حملناها إلى الفندق ، طوال الليل لا تكف عن الارتجاف ومطالبتى بالمزيد من الأغطية ، وكان الجو حارًا فلم أجد إلا الملاءات ، وبصعوبة

أحضرت لى خدمة الغرف بطانية ، ولكن (فادية) ظلت ترجف ممزقة قلبى إلى قطع صغيرة جدًا ، وجسدها قطعة نار فيما يبدو أنه حُمّى . وتردد بلا انقطاع : « سيخطفوننى ! سيخطفوننى ! » جثوت جوار فراشها على الأرض أضمم براحتى الأغطية عليها أكثر ، لا تخافى يا صغيرتى لن يمسك أحد بسوء .. أنا هنا .. اهدئى .. ادفئى .. نامى .. ويبدو أننى نمت على هذه الحالة .

وفى الصباح ، كانت البطانية مضمومة على (لا شىء) .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

5

الأشد خبثًا من الشيطان !

عمل عقلى سريعًا : جانب الفراش ملاصق للحائط ولا يمكنها أن تعبر إلا إذا أيقظتنى ، كما أنها كانت فى حالة مريعة أمس لا تمكّنها أبدًا من مغادرة الفراش اليوم ، تملكنى الذعر : تذكرت نداءها : « سيخطفوننى » نزلت إلى البهو ركضًا أنادى (سامى) لأخبره بهذه الكارثة ، وجدت بالبهو (فادية) فى أبهى أثوابها جالسة تتهامس وتضحك مع (سامى) .

شعرت بالصدمة أو الصفعة لا أدرى بالضبط ... صرخت بها :

ــ كيف نزلتِ من الغرفة دون علمى ؟

انتبه الزملاء ومن كان ليقول كلمة قطعها ؛ إن هذا العرض لا يُفوّت .

قالت (فادية) :

ــ أجننتِ ؟! من أنتِ حتى تحاسبينى على أفعالى ؟!

ارتبكت وخفضت صوتى إذ أقول :

ــ لقد .. لقد قلقت عليكِ .. كنتِ بحالة سيئة أمس .

قامت (فادية) وأشهرت سبابتها فى وجهى قائلةً :

ــ إياكِ أن تصرخى فىَّ بهذا الشكل ثانيةً .

نظرتُ إلى الأرض :

ــ عذرًا ، لم أقصد .

وقعت عيناى على قدمى : حافية ، صعدت قليلاً إلى ساقى : بالمنامة . كان هذا كافيًا .

صعدتُ إلى غرفتى/غرفتنا ركضًا تشيّعنى ضحكات الزملاء . ارتميت على الفراش أبكى ، لن أنتظر حتى تنقضى الأيام الخمسة ، سأغادر حالاً .

أحضرت حقيبتى ورحت أقطع المسافة بين الدولاب والحقيبة حاملة الملابس التى لم ألبسها ، والزينة التى لم أضعها .. ثم رحت أصفّها فى الحقيبة حين شعرتُ بذاك الموجود خلف ظهرى ، التفت فإذا بـ (فادية) واقفة تنظر لى بابتسامة رقيقة . تلاقت نظرتانا لفترة أربكتنى حتى قالت أخيرًا :

ــ أتغادرين ؟

ــ نعم .

ــ لا تتركينى ، أنا أحتاجك موت ..

ابتلعت ريقى ، حاولت أن أخمّن فيم تحتاجنى وتوصلت إلى هذا الاستنتاج :

ــ أنتِ أصبحتِ بخير ، ولن تحتاجينى .

Looloo
www.looloolibrary.com

راحت (فادية) ترجف ، ووجهها يشحب حتى لكأنه صار بلا لون كانت تتلوى كالورقة من أعلى إلى أسفل ، ليست رجفة المرض ، (فانتوم) ، إنها رجفة مريبة تتصنعها اصطناعًا لتخيفنى ، قلتُ بوهن :

ــ (فادية) توقفى ، أنتِ تخيفيننى !

لا تستجيب . أمسكتُ رأسى بيدى ورحت أردد بلا انقطاع :

ــ أرجوكِ يا (فادية) أن تتوقفى ، قولى لى ماذا يحدث ؟ ماذا تريدين منى ؟

قالت لى :

ــ لا تغادرى .

بالرغم من هذا الـ (شو) الذى صنعته لكنه لم ينجح إلا فى إقناعى بالفرار . لترجفى (فادية) كما تشائين ، أما أنا فلن أبقى هنا دقيقة ، حملت حقيبتى وتجاوزتها .

جاءنى صوتها من الخلف :

ــ إذًا لم يعد أمامى سوى (سامى) .

ــ (سامى) !!

عدت إليها :

ــ هل تزمعين إيذاء (سامى) ؟

ــ وماذا يهمك فى هذا الأمر ؟

ــ كيف هذا ؟ (سامى) زميل و ...

ــ زميل ؟ إذًا لتغادرى وتتركينى أفكر فى شأن الزميل .

ــ لن أدعك تؤذينه .. سوف أحذره منك .

ــ لن يصدقك .

ــ لماذا تفعلين هذا ؟

ــ لمـــاذا تخشين منى ؟ أنتِ ترين كم أنا واهنة ، خاصة بعـد حادثة أمس ..

ــ أنت كنتِ الآن تشحبين وترجفين و ...

ــ وهل هذا مخيف ؟ هل تخافين من أحدهم لأنه مريض جدًا .. واهن جدًا ويرجف ؟ (ليلى) أخبرك أن تبقى وتطمئنى .. لو كنتِ تفكرين أنى أتحول إلى مصاصة دماء أو مذءوب فأنتِ مخطئة .. مخطئة موت .

نظرت ترى وقع كلامها على وجهى :

ــ هاه .. ستبقين ؟

ــ نعم .

ــ برافو ! سأذهب الآن للبحر ، أستأتين ؟

ــ لا .

ــ أوكاى ، سى يو ..

Looloo
www.looloolibrary.com

نظرت إليها إذ تغادر : يجب أن أحذّر (سامى) ! يجب ! يجب !

نزلت إلى البهو ، كانت تستعد والرفاق للذهاب للشاطئ ، وتقبض على كف (سامى) بدلاً من أن يمسك هو بكفّها ، ولكن لكأنها تخشى أن يُفلِت . لو انتظرتُ لحظة مناسبة فلن أجد أبدًا ، هكذا قررت أن هذه اللحظة هى المناسبة ، ذهبت إلى (سامى) وقلت :

ــ هل تسمح بكلمة ؟

ــ بالتأكيد .

ــ لكن على انفراد .

تعجب لكنه قال :

ــ حسنًا ..

ثم استأذن من الرفاق ، وطوّق (فادية) بذراعه وأشار إلى مكان بعيد :

ــ تفضلى .

ابتسمَتْ (فادية) فى تشفٍّ ، قلت :

ــ لا ، (سامى) . أريد أن أحدّثك وحدك .

ــ (فادية) ليست غريبة ، نحن سنعلن خطبتنا بمجرد العودة من الرحلة ، هاه .. ما الأمر ؟

ــ (سامى) من فضلك الأمر هام جدًا ، ويتعلق بهذه الخطبة ، و ...

يا لحماقتى ، كيف صدرت عنى هذه السقطة ! ها قد سمحتُ لها بإقحام نفسها :

ــ خطبتنا ؟ أنتِ أقلقتنى حقًا يا (ليلى) ، ما هذا الأمر الذى يتعلق بى ؟

يبدو أن جرأتها بلا حد ، فلأكن أكثر جرأة منها :

ــ إذًا ، لتعلم يا (سامى) أن (فادية) ليست على ما يرام .

كنت أتحدث بسرعة وانفعال :

ــ (فادية) ليست على ما يُرام ، منذ عادت من البحر أمس وهى تقوم بأفعال غريبة ، كما أنها هددتنى بإيذائك .

ــ (هددتك بإيذائى) ؟ ! (ليلى) ما بكِ ؟

ــ صدقنى يا (سامى) .. أنا لا أعرف بعد ما الذى تخطط له ، لكنى أؤكد لك أمامها أنه شرير .

نظر لى نظرة شفقة ، وهز كتفيه ، ثم التفتَ إلى (فادية) :

ــ سامحينى يا (فادية) أن جعلتك تسمعين مثل هذا الكلام الفارغ ، هيا لنذهب .

وأنا أردد فى يأس :

ــ صدّقنى ، (سامى) ، هى ليست على ما يرام .

Looloo
www.looloolibrary.com

طوّق (سامى) (فادية) وهمّا ليبتعدا ، فاستدارت ترمى لى ابتسامة ظفر من فوق كتفها ، ثم خطت جوار (سامى) تسأله إذ يبتعدان :

ــ قل لى يا (سامى) ، ماذا تعنى (يُرام) ؟!

* * *

6

الأشد موتًا من الغريق !

خرجتُ إلى البحر .. جلستُ على مسافة من (فادية) والرفاق ؛ أدوّن أشياء على الورق ، وأرقب البحر ، وأفكّر : من الواضح أنها تدبّر أمرًا ، وأنها تحتاج إلى ضحية ، فإما تكون أنا أو (سامى) ، ومن الواضح أنها لا تملك قوة لإرغامى ، فاضطرت إلى تهديدى بـ (سامى) ، إذًا هى تعرف مشاعرى نحوه ، أريد أن أعرف : من بقى من الدفعة لا يعرف ؟!

(سامى) لا يريد أن يحذر ، فهل يمكننى أن أقول أننى أخليت ضميرى نحوه ، وأغادر ؟ يمكنك أن تقول هذا ببساطة وأنت جالس أمام شاشتك تشرب قهوتك وتدردش مع فتــاة وحيدة مريبــة ، (فانتوم) ، ولكنك لا تعرف أن هذه الفتاة يمكنها أن تبذل فى حبها أكثر من هذا .

أفقت على صوت طفولى يقول :

ــ هل ترسمين مثلى يا طانط ؟

الحقيقة أنى لست من الطراز الذى يتعلق بالأطفال ، ولازالت الأمومة بالنسبة لى لغزًا لم أسعد ــ أو أتعس ــ باكتشافه ، وكلما تحدث أحدهم عن طفله أترجم مشاعره بالتطبيق على قطّى ، حيثما أفهم ما يقول . ومع هذا فشىء ما بى يجذب الأطفال ، وينفّر القطط .

Looloo
www.looloolibrary.com

نظرت إلى (سامى) إذ يغمّى عينيه بإيشارب والمفترض أن يلاحق الرفاق لكنه لا يلاحق إلا (فادية) .. كان الآن يجذب كمّى :

ــ طانط ! طانط !

ــ نعم ! نعم !

ــ لماذا لا تنظرين إلىَّ حين أحدثك ؟ ألا أشبه هؤلاء (الكبار) الذين تنظرين إليهم ؟

التفتُ إليه ، من المؤسف حقًّا أننى أثرت لديه هذا الشعور السلبى ، لكنى بالتأكيد لن أعتذر لطفل لا يظهر من الأرض ويرتدى شورتًا مزركشًا :

ــ وكيف تشبه الكبار ، أرأيت كبيرًا يرتدى شورتًا بهذه الألوان ؟

قال بشمم :

ــ أنا أفضل منهم ، طانط . الكبار يكذبون ويخطئون ويخلفون الوعد ويحقدون ويسرقون ويقتلون ويذبحون ويشنقون و .. ...

كان هذا مريعًا ، ووجب على أن أوقفه ، فألهيته بأمر آخر :

ــ أرنى ماذا ترسم ..

فتح لى كراس رسمه .. كان رسمًا طفوليًّا معتادًا إذا استثنينا مجموعة الغرقى والمخنوقين والمشنوقين والمذبوحين والمطعونين والمعذبين فى الأرض تحت ضوء الشمس .. نظرت إليه نظرة تتمثل الذعر :

ــ وما الذى دفعك إلى رسم الشمس ؟

قال مصححًا :

ــ ليست شمس .. هذه رأس مقطوعة .

ــ أها .. فنان حقيقى ! قل لى .. ألا ترسم أشياءً مثل أناس مستطيلة لهم رءوس مستديرة ويخرج منها أشعة مستقيمة تمثل الشعر .. أشياء كالأطفال يعنى !

تمثل الامتعاض وقال :

ــ ولماذا أرسم أناسًا منكوشى الشعر ؟ مجانين هم ؟

ــ وما ذنبهم ، هم بالكاد رسوم ، لو هناك مجنون هو من رسمهم .

ــ لذلك لا أرسمهم يا طانط ، أنا لا أحتاج لمجانين .

قلت له على سبيل إنهاء المناقشة :

ــ لا تضخم الأمر ، علّهم عباقرة .

ــ أو مجانين يدّعون أنهم عباقرة .

وجدت أن هذه اللماضة فاقت الحد فعلاً :

ــ أو عباقرة يُتهمون أنهم مجانين .

ــ أو عفاريت .

ــ أو للتو استيقظوا .

ــ أو ليس لديهم مشط .

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ أو لا يعترفون بـــ (أنور وجدى) .

ــ أو يضعون الجِلّ .

لقد مللت هذه اللعبة حقًّا :

ــ أو جذبوا شعورهم كمدًا .

ــ أو ...

قاطعته :

ــ يا بنى توقف ، لقد مللت هذه المساجلة .

ــ ماذا تعنى (مساجلة) ؟

ــ مساجلة تعنى ....

توقفت قليلاً للتفكير ، فتحدث بسرعة منتهزًا الفرصة :

ــ أو يضعون باروكة منتفشة على رءوسهم الصلعاء .

ــ حسنًا ، أنت المنتصر ، ارتحت ؟ كل ما أردت أن أقوله لماذا لا ترسم رسومات عادية كالأطفال ، هل هذه الرسومات من وحى خيالك ؟

نظر بعمق إلى الأفق :

ــ بل أستلهم من الطبيعة ، إن الطبيعة كتاب مفتوح لكل من يتدبر ، والفنان الحقيقى هو من .....

ــ طيب روّح يا شاطر ، مامتك تبحث عنك .

التفت فى ذعر ، لكن وجد والدته جالسة فى اطمئنان تحمد الله أن خلصها منه قليلاً ، عاد إلىّ بنظرة وعيد طفولية :

ــ هكذا يا طانط ؟ طيب أخاصمك !

ابتسمتُ لظهره إذ يغادر ، تابعته فى لعبه مع مجموعة من الأطفال . برغم سماجتهم يظل لهم نكهة خاصة حريفة ومحببة . عدت إلى أوراقى ، أين كنّا وقفنا ؟ آه .. عند الخطة (ز) للانتقام من (فادية) .. لكنه عاد إلىّ يصرخ :

ــ يا طانط ! يا طانط ! أخرجوا غريقًا من البحر .. انظرى ...

نظرتُ فإذا بمن يخرج حاملاً غريقًا بين يديه ويلقيه على الشط ، وجدت الناس تتجمهر تخفى الرؤية عنى ، سمعت الهمهمات تتعالى : « غريق ! غريق ! »

وصلت الكلمة إلى أذنى (فادية) التى يبدو أنها لم تحتملها بعدما كادت تغرق بالأمس فقط ، انهارت قواها وكادت تسقط فالتقطها (سامى) وحملها إلى الفندق ، يتبعهم كل أولئك الأوغاد المعجبين .

دفعنى ذاك الطفل الشقى أو الفضول أو الملل أو العقد النفسية الكمينة أو السادية أو رغبة التطهر أو كل ما سبق أو لا شىء مما سبق إلى رؤية تلك الجثة ، اخترقت الصفوف ودلفتُ إلى داخل الدائرة التى كانت فى مركزها ترقد : (فادية) !

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

7

الأشد ضلالاً من الأعمى !

نظرتُ إلى الرفاق المتجهين للفندق ، نظرت إلى الجثة ، نظرت إلى الرفاق المتجهين للفندق ، نظرت إلى جثة (فادية) ، نظرت إلى الرفاق المتجهين للفندق ، نظرت إلى جثة الغريقة (فادية) ، وظننت أنى سأفعل هذا إلى يوم الدين .

ركضت أنادى :

ــ (ســامى) ! تعــالَ انظر! (فادية) ميتة على الشط . (سامى) ، ألقى ما بيديك إنها ليســت (فادية) ، لقــد تمثلت الإغماء لتلهيكم عن الجثة .

الرمال كانت تعاندنى ، وبصعوبة كنت أخطو ، لكننى أدركتهم ، سرت جوار (سامى) بخطوته السريعة وقلتُ بين أنفاسى :

ــ (سامى) ، صدقنى ، (فادية) ميتة على الشط ، تعالَ انظر ، تعالوا كلكم ..

رمقنى (سامى) بحدة وقال :

ــ أنا أعرف جيدًا لماذا تشوّهين صورتها ، لكن لتعلمى شيئًا : الحب ليس بالعافية ، وأنا لن أحب يومًا حقودة مثلك .

ــ .. ..

تحدثت بلا كلمات ، لأنى لم أتحدث . شكرًا أيها القدر أن منحتنى دافعًا للفرار .

بقيتُ فى مكانى يتقدموننى . اعترتنى الدهشة كيف يكون أحدهم عبقريًا إلى حد أن يقول " الحب أعمى " ، ويكون أحدهم غبيًا إلى حد ألا ينتبه للعبقرى السابق .

كنت أقصد سامى بالعمى ، لكننى بعد برهة أدركتُ أن الكلام يناسبنى أنا أيضًا . ويناسب الجميع ، كلهم عَمَوًا حتى أن يلقوا نظــرة على ما بالشط لكن (ضاحى) أفلت من هذا ، أتانى يقول :

ــ ما الذى يدعوكِ إلى الاعتقاد أنها (فادية) ؟ أنا رأيت الجثة ووجدت أن الوجه مشوّه بشدة ويبدو أن الأسماك أكلته .

ــ لكن الثــوب ، نفس الثــوب الذى كانت ترتديه (فادية) أمس ، انظــر إليــه جيــدًا .. أليس هــذا الثــوب الذى جنّنكم جميعًا ؟

ــ (فادية) كان ثوبها أبيض ، أما هذا فأسود .

ــ أســود بسبب (البــلاك) الذى هبّبه فى البحر ، لكن ، لكن ...

Looloo
www.looloolibrary.com

ولم أجد أدنى دفاعات أخرى .. قال (ضاحى) :

ــ صدقينى ، إن كان هناك واحد بالكون يريد تصديقك فهو أنا ، مع هذا لا أستطيع .

ــ أنا لا يهمنى أن تصدق ، ولا أن تصدقوا جميعًا . كلكم خُتِم على قلوبكم وعقولكم ، وركضتم وراءها بإرادتكم وكامل قواكم العقلية ، فلتحتملوا ما سيحدث لكم ، أما أنا سأغادر الآن حالاً .

واتجهت إلى الفندق ، لكن (ضاحى) استوقفنى :

ــ كيف تغادرين ؟! ستتعرضين للمساءلة فى الكلية ، سيقول المشرف ...

قاطعته :

ــ مشرف ؟ أنا لا أعرف ما دور المشرف إن لم يخبر الرفاق أن زميلتهم التى تستحوذ على إعجابهم ميتة !

ــ عزيزتى ، لا تنسى أنها إن كانت ميتة ....

ثم فكر بعمق ليخفف وقع كلماته ، وأخفض رأسه إذ يقول :

ــ فأنتِ المسئولة عن موتها .

صعقتنى الكلمة :

ــ ماذا ؟!!

كيف نسيتُ أننى المتورطة فى هذا ، أنا من دفعها للخوض فى البحر فى تلك الساعة من الليل ، ولسوف يشهدون ضدى جميعًا ، ولسوف يكون (سامى) أول الشاهدين .

ــ وماذا أفعل الآن يا (ضاحى) ؟

ــ إن كانت ميتة حقًا فمن الأفضل ألا يعلموا بذلك ، ولا أن تعلم هى أنك تعلمين . من حسن الحظ أنهم ظنوك تدّعين هذا بسبب غيرتك منها ، فلتدعيهم فى ظنهم ، لا تثيرى الشكوك حولك أكثر ، لا تتخذى تصرفات عجيبة ، لا تغادرى فى منتصف الرحلة ، لا تبقى وحدك فى الفندق طوال الوقت ، ولا تظهرى عدائيتك تجاه (فادية) ، كونى مثلنا ومعنا فقط .

ــ لكنى خائفة منها ، إنها تبيت معى ليلاً ..

ــ أنت تعادينها ، لماذا لا تتجنبينها فقط ، أعتقد أنك إذا تجنبتها وكففتِ عن إزعاجها بتحذير الناس لن تضعك فى حسبانها .

ــ حسنًا ، (ضاحى) ، حسنًا ، سأبقى متفرجة فقط ، ولو تدخلت بعدها بكلمة أو همسة أو لفتة ، فاتفل على وجهى ، ثم ابصق على وجهى ، ثم أحضر كل وسخ العالم واقذفه فى وجهى .

Looloo
www.looloolibrary.com

تكرمش وجه (ضاحى) ممتعضًا ، فيما ينزوى عنى .

عدت إلى الفندق . كان الرفاق بالبهو يتجاذبون أطراف الحديث ، حسب التعبير الشهير ، ثم توقفوا حين رأونى ، وبدأوا يتجاذبون أطرافى على الحديث . همسات ، نظرات أعين كلها عنى . لا بأس . أبتسم فى وداعة لمن ينظر لى ، أبحث بعينى عن (عبد العال) ، كنتُ أعرف أنى سأجد ماردًا ، أما (رفاعى) فكان مستحوذًا على الأريكة كلها فيما يتناول بعض الساندويتشات . اتخذت مقعدًا ، ونظرت جانبى فكان (قاسم) ، تبينته بصعوبة إذ لم يعد أشقر على الإطلاق ، قلت له :

ــ مرحبًا (قاسم) ! لون بشرتك الجديد رائع ، لابد أن شمس هذا الصيف تعمل جيدًا ! هاهاها !

بعد قليل ، جاء رجل فى الخمسين ، وحيًا الجميع . وبمجرد أن رأته (فادية) حتى قامت مبتهجة وبسطت إليه يدها مصافحة :

ــ هاى ! أنا لا أعرف كيف أشكرك ، أنت أنقذت حياتى .

ــ جئتُ للاطمئنان عليكِ ، كيفكِ اليوم ؟

هو الرجل الذى أنقذها بالأمس ، وقد جاء للاطمئنان كما سمعت . لكن (فادية) لم تجب ، فقط راحت تنظر فى عينيه كأنها لا تستطيع أن تبعد عينيها عنه ، وراحت عيناهما تتحدثان : بالهمس ، بالهمس ، بالآهاتِ ، بالنظراتِ ، بالصمتِ الرهيب .. فى حين وجه (سامى) يضرب جدرانه الدم بعنف .

الرجل خمسينى صحيح .. لكن ، لا أنكر ، كان وسيمًا فارع القامة لم تنجح تلك التجاعيد على وجهه إلا فى إضفاء المزيد من الجاذبية ؛ فبعض الرجال يزدادون وسامة بالمضى فى العمر ، حتى لتسأل نفسك ، هل كان يجب أن يكبروا ليصبحوا هكذا ؟! هذا غير أنه أنقذ حياتها ، بما يعنى أنها إن لم تحبه للأسباب السابقة ، فستحبه على سبيل المجاملة .

وجدتُ أن الدقائق قد مُطّت وهما واقفيْن على هذا الحال ، فقررت أن أكون ذات نفعٍ .. هكذا قمتُ إلى الرجل ، وقلت :

ــ نحن جميعًا نشكرك يا (عمّو) على إنقاذ حياة (فيفى) .

ثم نظرتُ فى عينيها لحظة ، قبل أن أعاود الحديث إليه :

ــ ميرسى موت !

قال لى بامتعاض :

ــ يمكنك أن تنادينى : (عيسى) .

ــ تشرفنا يا عمّو (عيسى) .

تضايق عمّو (عيسى) لا أعرف لِم ، وهمّ يغادر .. لكنى استبقيته :

ــ لماذا لا تبقى للغداء معنا ؟

ــ أخشى أن أضايقكم .

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ لااا .. على الإطلاق ..

التفتُ إلى الرفاق :

ـ هل يضايقكم يا رفاق ؟

ثم صوّبتُ عينى إلى عينى (سامى) :

ـ هل يضايقك يا (سامى) ؟!

* * *

8

الأشد بؤسًا من الميت !

مساءً ، كان هذا هو الوقت المعتاد للعب ، وكان معنا ضيفنا الجديد : عمّو (عيسى) ، وقـد تركت له (فادية) قيـادة اللعبة .. وزّع الأوراق على خمسـة أكـوام ، لأربعتنا وله ، وللصدفة المريبة : كرر على مسامعنا ما قالت (فادية) فى المرة الأخيرة :

ـ سنلعب شايب بالأحكام ،

أحكام جادة حقيقية ،

أحكام تسرى على الرقاب ،

من أراد الانسحاب فلينسحب الآن حالاً ، لأنه سيتمنى بعد قليل الانسحاب ولا يناله ..

لا تقولوا أنى لم أحذركم .

بقينا ملصقين بالمقاعد .. بالنسبة لى : لم يعد هناك ما أخسره .. (سامى) عرف أنى أحبه ورفض حبى وأهاننى أمام الناس ، إن لم يصدقوا مـوت (فادية) فأنا مجنـونة ، وإن صدقوه فأنا قاتلة .. والبيت بعيد جدًا عن متناول يدى .. فماذا سأخسر ؟

ـ لنلعب !

Looloo
www.looloolibrary.com

انتقل الجلال من وجه (فادية) إلى وجه (عيسى) ، أما هى فقد كان وجهها وجه تلميذ فى حضرة معلمه ، حين لا يعمل الواجب . كان وجهها شاحبًا مأخوذًا وكأنها أخطأت أو تنتظر نتيجة الامتحان ، أما هو فلكأنه (كبيرهم الذى علمهم السحر) ، وإننى لبت أشك فى وجود صدفة فى هذا العالم . كأن لقاءه بنا لم يكن صدفة ، وجوده فى عرض البحر فى تلك اللحظة ، إنقاذه لـ (فادية) ..

همم .. هل قلت (إنقاذه) ؟ ها قد بدأت أتحدث مثلهم . هو لم ينقذها لأنها غرقت بالفعل ، ومن يدرى .. ربما هو من أغرقها بيده .

سرت قشعريرة بجسدى فجأة .. ليس بردًا ، ليس فأرًا ، ولم أتكهرب ، وإنما ـ لبؤسى ـ أخذتُ الشايب ! كنتُ أفعل أى شىء بالعالم للخلاص منه ، هكذا فندتُ أوراقى ، ووضعت الشايب بالمنتصف بالضبط ، ونظرت إليه ، ثم نظرت إلى (ضاحى) الذى سيسحب منى ، رجوته بعينى أن يأخذه ، لو اكتشفوا أنى أغش الآن فهى نهايتى ، ولو لم يفهم (ضاحى) مقصدى فالنهاية وشيكة كذلك . خذه يا (ضاحى) ، خذه ، أتنفس الصعداء ، شكرًا يا (ضاحى) ، شكرًا لك .

لم ينجح المسكين فى الخلاص من الشايب ، هكذا كان الحكم من نصيبه ، وكان (عيسى) هو الحاكم .. وضع ساقًا على ساق وقال :

ـ حكمى ..

ثم قذف بمفاتيحه إلى (ضاحى) وتابع :

ـ أن تأخذ سيارتى وتذهب إلى السوبر ماركت فى أول المدينة ، وتحضر عبوة من الشيكولاتة لـ (فادية) .

صرخت (فادية) :

ـ أوه ! شيكولاتة ! أنا أحبها موت موت !

هتفتُ :

ـ لكن السوبر ماركت بعيد جدًا فى حين بالفندق هنا شيكولاتة .

ـ وكيف يكون حكمًا إذًا ؟

قال (ضاحى) منهيًا الحديث :

ـ لا عليك يا (ليلى) ، أنا أحب التجول فى المدينة .

كان قلبى منقبضًا ، وفكّرت أن أمنعه لكن نظرات الوعيد بأعين (عيسى) أحجمتنى . تناول (ضاحى) المفاتيح وذهب .

مر الوقت بطيئًا مريعًا .. تجاوزت الساعة منتصف الليل ولا زال بالخارج .. أيقنت فى داخلى أن كارثة ألمّت به .. كان يجب أن أعرف هذا من تتالى الحوادث المريبة عن أحكام اللعبة .. كان يجب أن أمنعه .. كنتُ بالكاد أُمسك أعصابى ، لكنها ـ فى لحظة ـ أفلتت منى فوجدتُ أنى أذهب إلى الرجل البارد الجالس يتسامر مع (فادية) . وأصرخ به :

ـ ماذا فعلت بـ (ضاحى) ؟ لماذا حكمت عليه هذا الحكم الغريب ؟

Looloo www.looloolibrary.com

ــ ألم يلعب بإرادته ؟

أمسكتُ بياقته :

ــ دعك من حكاية إرادته هــذه ، أنت تعــرف جيدًا أن كل ما يحدث بإرادتكم أنتم ، وأنا أخبرك بمنتهى الصدق : لو حدث شىء لــ (ضاحى) فأنا سأقتلك بيدى .

حرر نفسه وقال :

ــ من الأولى أن تقتلى نفسك إذًا . ألم توعزى إليه بأخذ الشايب ؟

بُهتُ . بالفعل أنا مذنبة فى هذا ، لكن المريب أنه يعــرف ، إن كل ما يحدث جرّاء هذه اللعبه يعرفه وينتظر حدوثه حتى وإن بدا أنه صدفة . حين قلت له أن ما يقع يحدث بإرادتهم لم أكــن أتخيــل أنى صادقة إلى هذا الحد ، بالرغم من أنى لا أعرف حتى من (هــم) لكنهم يضمرون شرًا حقًا . هو يجعلنى أظــن أنى أتبــع إرادتى الحــرّة فى حين أنا أتبع إرادة أخرى . إن كل هذا لفوق الاحتمال وإن لم أصب بانهيار عصبى الآن ، فمتى قد أصاب به ، (فانتوم) ؟

لمّا تأخر (ضاحى) استأذن (عيسى) ، لم ينتظر حتى أن يعود ليأخذ منه سيارته ، ولفرط تبلد إحساسه ، دعانا قبل أن يغادر إلى حفل تعارف يقيمه بالشاليه الخاص به غدًا .

بعد فترة جاء (ضاحى) ممزق الملابس تسيل الدماء من جسده ، شاحب الوجه راجف البدن ، على عينه تلك النظرة الخاوية ، وفى يده عبوة من الشيكولاتة .

وحين سمعت فى الغد ذاك الخبر ، أدركت أنى كنت عبقرية إذ عرفت وحدى ودون مساعدة من أحد ، أنى سأسمع غدًا خبر موت شاب فى حادثة سيارة على ذاك الطريق .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

9

الأشد انتشارًا من الوباء !

إلى كل من يزعجهم وجودى فى الحياة : أعتذر عن الإزعاج ، سأنتحر غدًا !

أما هذا الفتى ، طيب القلب والقسمات ، الوحيد الذى لم يسخر منى حين سخرتم ، لم يكذّبنى ، لم يطالب برأسى ، لم يتردد فى أخذ الشايب منى .. وأحبنى .. ما ذنبه تميتونه وتعيدون لى مسخه ؟

فى الصباح ، قال لى (سامى) :

ــ صباح الخير ..

أدرت وجهى . أعاد :

ــ صباح الخير ، (ليلى) !

زفرت فى ملل ، ولم أجب . قال :

ــ أعرف أنك غاضبة منى ، لكن فقط أفسحى صدرك لى ، أريد أن أتحدث معك بأمر ضرورى ، أنا لم أنم طوال الليل ، كان (ضاحى) فى أبشع حال ممكنة من الحمى والارتجاف والشحوب والهذيان .. طوال الليل يردد : « سيخطفوننى ، سيخطفوننى » .

كان كل هذا مكررًا بالنسبة لى ، وأعرفه دون أن يقول ، بدأت فى تأمل أظافرى . تابع هو :

ــ أنا لا أعرف ماذا يحدث لكننى بدأت أظن أنه مريب .

(بدأ) (يظن) ! كم تتأخر استنتاجات هذا الفتى ! هتفتُ :

ــ صباح الخير ، (سامى) !

حانت منى التفاتة إلى طاولة الاستقبال فوجدت من يقف على الأرض ورأسه أعلى من النجوم ، وفق الفزورة الشهيرة . ماذا يفعل هذا الضابط هنا ؟!

كان واقفًا مع مشرف رحلتنا د. (قابيل) ، تساءلتُ فى نفسى عن الكارثة التى جاء من أجلها ! استأذنتُ من (سامى) وذهبتُ أقف معهما . كان محرجًا أن تندس بين اثنين يتحدثان ، لكن إذا تمثلت البلادة لن تجده محرجًا .

قدّمنى د. (قابيل) بحماس مبالغ فيه ، فأشار بطرف إصبعه وقال بنصف فمه :

ــ (ليلى) .

هز الضابط رأسه بشكل عابر وتابع حديثه إلى د. (قابيل) :

ــ وهذه الأحداث الغريبة التى تمر بها المدينة فى الآونة الأخيرة تتمثل فى حوادث موت متتالية ، وهناك ما يدفعنا إلى الظن بأنها جرائم قتل ؛

Looloo
www.looloolibrary.com

فالجثث كلها مشوّهة الوجه لإخفاء المعالم ، كما لا توجد أية إثباتات شخصية مع الضحايا .

تساءل د. (قابيل) :

ــ وما علاقتنا بهذا الموضوع ؟

ــ لقد عرفت أن رحلتكم الجامعية مقيمة هنا ، وبصفتك المشرف فقد فكرت أنه ربما لديك أية معلومات .

ثم مد يده إليه بمظروف :

ــ أو ربما تستطيع التعرف إلى أحد الضحايا .

رد د. (قابيل) يد الضابط :

ــ لكن لا يوجد بين الطلاب أحد غائب أو مفقود .

أعاد الضابط مد يده بثبات :

ــ ليس بالضرورة أن يكون الضحايا من عندكم ، لكننى اطّلعت على تاريخ وصول الرحلة ، وهو تاريخ بدء هذه الحوادث ، كما أنها وقعت جميعًا فى محيط إقامتكم .

كان فى هذا تلميح بالاتهام لنا ، وأحد غير د. (قابيل) كان ثار ، لكن هذا البروفيسور المهذب اكتفى بأن أكّد جهله بأية معلومات . أسرعتُ بالتقاط المظروف ، كان عددًا مهولاً من الصور مما

أصابنى بالقشعريرة ، فتيات وفتيان فى ريعان الشباب ، وشيوخ كانوا على حافة الموت قبل أن تزل أقدامهم ، والأكثر إيلامًا أن أكثر الصور كانت لأطفال .

ميّزت من بين الصور صورة (فادية) بثوبها الأبيض الذى اتسخ بالبلاك ، و(ضاحى) بملابسه التى غادر بها أمس ، ولكنى أخفيتُ أى انفعال ؛ هذا الضابط متشكك أصلاً ، ولن يجد أفضل منى لإلصاق التهمة به .

تابعتُ التصفّح ، حتى لحظة شعرت بالألم يعتصر قلبى ، لا يمكن أن يكون العالم بهذا السوء ! كان هناك طفل فى شورت مزركش يحتضن كراس رسم . أسقطتُ الأوراق من يدى ، وخبّأت وجهى بيدى .

تناول الضابط صورته وسألنى :

ــ هل تعرفينه ؟

تذكرت رسوم الطفل عن جماعات القتلى .. هل كان شفافًا إلى هذا الحد ؟ ترى ماذا جنى ليأخذوه فيمن أخذوا ؟!

ــ آنسة (ليلى) ! هل تعرفين هذا الطفل ؟

ــ لا .. أنا فقط لم أتخيل أن يقتلوا طفلاً فى هذا العمر ... كيف حدث هذا ؟

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ كان فى مقطورة تقدم عروضًا للأطفال ، ثم اصطدمت سيارة مسرعة بالمقطورة ، وانقلبتا .. ومات سائق السيارة والأطفال : هذا الطفل ، وتسعة وثلاثون طفلاً آخرون .

* * *

10

الأشد نضجًا من الكبار !

أعرف طريقى ، أو بمعنى أدق ، سأعرفه . إنه موجود ، لابد أنه عاد ككل الذين عادوا ، ولعله فى بيته الآن يرتجف ويردد : « سيخطفوننى » .. لا أعرف اسمه ، ولا عنوانه ، ولا شىء غير أنى رأيته أمس ها هنا .

بحثت ، سألت الأطفال :

ـ طفل كان يلعب معكم أمس ، ويرتدى شورتًا مزركشًا .

ـ لا نعرفه .

ـ يهوى الرسم ويرسم أشياء شنيعة مقطوعة الرأس .

بصوت واحد :

ـ لا نعرفه .

ـ كانت له آراء حكيمة فى الحياة ، وليس أبدًا أبله مثلكم .

ردد الكورال :

ـ لا نعرفه .

ـ كان قتيلاً ولكنه عاد بنظرة خاوية على وجهه

Looloo
www.looloolibrary.com

رددتُ مع الكورال :

ــ لا نعرفه .

لكن طفلاً من الأطفال بدت عليه سيماء العبقرية والنبوغ المبكر ، قال :

ــ آآآه تقصدين (عبد الوهاب) الذى كان يلعب معنا أمس ؟

مطت شفاهى فى ابتسامة عريضة :

ــ أين يسكن ؟

قادنى إلى منزله . كانت الأم فى أسوأ حال ، أخبرتها أنى صديقة ابنها ، وأريد أن أراه . اتسعت عينها :

ــ صديقة (عبد الوهاب) ؟!

ابتسمتُ لها وأومأت مطمئنة . قادتنى إلى فراشه ، كان محمومًا يرتجف لكنه ما إن رآنى حتى بش وصاح :

ــ طانط !

وراح يحكى دون توقف حتى لكأنه بكرة خيط وانفكّت :

ــ كنت أشعر بهم يا طانط ، أشعر أنهم يريدون شيئًا منى لكن لا أعرف ما هو ، لم أكن أريد أن أحضر العرض ، أنا أحب عروض البلياتشو لكن هذه المرة خفت ، كما أن ماما رفضت لأن الوقت تأخر ، ومع هذا وجدت نفسى أغافلها وأذهب إلى المقطورة كأن هناك ما يحركنى لهذا . سألونى

قبل أن أدخل العربة : « كم عمرك ؟ » قلت لهم : « عشرة » ففتحوا لى الباب ، لم يدخلوا كل الأطفال ، كانوا يسألون عن العمر بالأول .

وبمجرد أن جلسنا يا طانط تحركت بنا المقطورة وذهبت إلى مكان بعيد ثم توقفت ، واستعددنا لبدء العرض لكن قبل أن يبدأ وجدنا المقطورة تدك فوق رءوسنا ، أو تحتها لا أدرى ، فربما انقلبت العربة ، وشعرتُ أنى أنسحب فى نوم عميق ، لكن قبل أن أغمض بلحظة جاءنى شخص لا أعرفه وسألنى : « أتريد أن تموت أم تعيش ؟ » قلت : « أعيش يا عمّو » ، فقال لى جملة صعبة جدًا لا أستطيع تذكرها وطلب منى أن أقولها وراءه ، لم أعرف أن أقولها فراح يقسّمها ويتهجأها لى ، وحين انتهيت منها ، وجدتُ أنى أملك القدرة على القيام والعودة للمنزل وكنت أعرف الطريق برغم أنى لم أمشه قط ، فهل سأعيش يا طانط ؟

ضممته إلىَّ :

ــ أعدك أن أعرف ما حدث لك ، وأن أوقفه ولا أدع سوءًا يمسك .

أبعدته لأتمكن من النظر إليه :

ــ لكن يجب أن تتذكر ماذا كانت تلك الجملة !

فكّر قليلاً :

ــ لا أذكر يا طانط .

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ حاول أرجوك ..

ـ أظن أنى كنت أقول أنى أفعل أى شىء ليلعب شخص ـ اسمه غريب جدًا ـ الكوتشينة !

* * *

11

الأشد نحولاً من الورقة !

اتجهت إلى الفندق ، أحتاج أن أرى (ضاحى) أيضًا ، لابد أن لديه معلومات . وما إن رأيته حتى لوّحت له ، لكنه لم يعرنى اهتمامًا وأكمل حديثه إلى (فادية) . ماذا !! ألم يكن معجبًا بى ؟! والوحيد الصامد أمام (فادية) ؟! شعرت بالضيق ، أنا صحيح لم أحبه ؛ لكن هو ، ألم يقل إنه يحبنى ؟ كما شعرت بالهزيمة ، فهل يجب أن تستأثر (فادية) بكل الرجال أجمعين ؟

على أية حال ، لم يعد الوقت يسمح بهذا الترف ، ذهبت إليه رأسًا :

ـ (ضاحى) ، ماذا حدث لك أمس ؟

ـ أبدًا ، حادث بسيط .

ثم أدار وجهه ، عدت أسأله :

ـ صف لى الحادث .

ـ لا شىء .. اصطدمتُ بمقطورة ولكنى بخير .

ثم منحنى عبارة إنهاء الحديث :

ـ شكرًا لسؤالك .

Looloo
www.looloolibrary.com

وابتسم ربع ابتسامه قبل أن يتابع حديثه إلى (فادية) ، ثم خلع قميصه متوجهًا معها إلى البحر .

نظرت إلى ضلوعه البارزة ، لقد كان و(فادية) فى أنحف حال ممكنة وقد ذكرانى ببطل فيلم (The Machinist) الذى لم ينم منذ عام ، أو بطل فيلم (Thinner) ــ لستيفن كينج ــ الذى أصيب بلعنة النحافة ، أو صور أطفال المجاعات ، أو أى شىء مريع آخر ..

التفتُّ فاصطدمتُ بعمود ، من ثم اعتذرت له :

ــ عذرًا (عبد العال) .

كان الآن ماردًا يكاد يصطدم رأسه بالسقف . الذى ينحف ، والذى يسمن ، والذى يطول ، والذى يقبح !! ما الذى يحدث بالضبط ، وكيف الجميع صامتون ووحدى التى تشد شعرها !

جلست مشتتة أحاول تجميع الصورة فى ذهنى : عندما حكمتُ على (فادية) بالنزول للبحر ظهر (عيسى) لأول مرة مدعيًا أنه أنقذها ، ثم ظهرت جثة (فادية) . فى الليلة التالية حكم (عيسى) على (ضاحى) بالقيادة ليلاً ، فاصطدم بمقطورة وأمات أربعين طفلاً ومات هو شخصيًا ، مع هذا عادوا جميعًا .. الطفل قال أنه جاءه رجل يساومه على حياته .. الراجح أن هذا الرجل هو (عيسى) نفسه .. لأنه من ساوم (فادية) فى البحر .. ولهذا انسحب (عيسى) بعد الحكم وقبل أن يعود (ضاحى) بمفاتيح السيارة .. وذلك حتى يتمكن من الذهاب إليه وقتله والأطفال .

ابتسمت فى مرارة .. زارتنى خاطرة شاعر[1] عن (عبثية الموت) فى (توم وجيرى) : كلما انطبق (توم) واندك عنقه ، يعود فيُمَط ويلاحق (جيرى) ، حتى يندك من جديد فيُمَط ويمارس حياته ثانيةً وهكذا ..

أتساءل : هل تصلح فكرة العودة من الموت لإضحاك الأطفال ، إذًا لماذا تثير ذعر الكبار ؟

الجميع ــ بما فيهم أنا ــ يتخلون عن إرادتهم لإصدار أو تنفيذ أحكام معينة ، بل إنهم يسعون إلى تنفيذ الأحكام بسعادة ، وبقدر من التردد أيضًا ، وكأن هناك قوة مسيطرة عليهم ، وكأنهم يقاومونها .. وكل هذا بدأ بوجودنا هنا ، ولعبنا الشايب بالأحكام .

هل تغمى هذه القوى أعين الرفاق فلا يرون شيئًا مريبًا .. فلماذا لا تغمى عينى أيضًا ؟

العائدون يتخلون عن أجسادهم ، ويحصلون على أجساد جديدة : شاحبة ، ترتجف طوال الوقت ، وتنحف باستمرار .. فهل ستظل تنحف حتى تختفى ؟

لصالح من كل هذا ؟

ما الغرض من كل هؤلاء القتلى ؟

---

(1) الخاطرة للشاعر (شعبان يوسف) .

Looloo
www.looloolibrary.com

هل يجيء الدور علىَّ ؟

كان (سامى) جالسًا فى خواطره الخاصة التى لا أظنها أقل سوادًا من خواطرى ، حين دخل (ضاحى) الفندق وسألنا :

ــ أذاهبان للحفل الليلة ؟

ــ أى حفل ؟

ــ حفل التعارف الذى يقيمه (عيسى) فى الشاليه الخاص به .

كنتُ نسيت كل شىء عن هذا الحفل ، صحت و(سامى) معًا :

ــ لا !

ثم نظرنا إلى بعضنا .

* * *

12

الأشد رومانسية مما توقعت !

ــ الحقيقة ...

هاه يا (سامى) .. قل ...

ــ الحقيقة .. لا أعرف كيف كنت قاسيًا معكِ إلى هذا الحد !

ــ لا عليك (سامى) ، فقط أريد أن أخبرك أنك أسأت الفهم ، أنا لم أكن أحذّرك لأنى ــ كما توهمت ــ أ ... حبك ، ولكن فقط كنت أشفق عليك .

ياللغباء ! ياللغباء ! ما الذى قلت !

ابتسم (سامى) :

ــ يبدو أننى توهمتُ أيضًا حديثك و(ضاحى) فى الحافلة ، أنسيتِ أنى كنت أمامكما مباشرة !

نظرت للأرض .. إذًا هو يعلم من بداية الرحلة رغم كل مجهودى لإخفاء الأمر . أفكر ، والأمور تسير بالعكس هكذا ، ربما لو كنت أمسكتُ بميكروفون وصرّحت بحبى ، لكنتُ احتفظتُ بالسر .

تابع (سامى) :

ــ أريد أن أعترف لكِ أننى أيضًا أُحـ ...

Looloo
www.looloolibrary.com

قاطعته بسرعة :

ــ أنت تقول هذا فقط لأن (فادية) تركتك .

أوه ــ أوه ! ياللعك! لا أعرف لماذا أعمد إلى إفساد الأمور كلما اتخذ الحديث منحىً رومانسيًا ! فقط لا أحتمل كل هذه الرقة ، وأشعر بالخجل ، وأتمنى لو ينتهى الموقف بأى شكل ، فأعمد إلى تشغيل مصنع الطوب فى فمى ، وإنتاج قطع فريدة من عينة ما بالأعلى .

قال (سامى) :

ــ ربما كانت (فادية) مرحلة من الحكمة أن أمر بها لأتخطاها ، لكنى كنت أعرف فى قرارة نفسى أنها حكاية لن تستمر مدى الحياة ، وأن لها نهاية . ما فعلته (فادية) أن عجّلت بهذه النهاية باستجابتها لـ (عيسى) .

ثم نظر فى عينى برقة ، وهمس :

ــ أمّا أنتِ .. فمنذ رأيتك و ....

ها قد عدنا للرومانسية ، هكذا وكى لا يعمل مصنع الطوب ثانية ، رفعت يدى وسددت بهما أذنى .

كان منظره ظريفًا إذ يتحدث دون صوت ، وقد استغللتُ الوقت فى التفكير فى فكرة حتى اختمرت فى رأسى ولم يبقَ غير إقناع (سامى) ، فرفعت يدى عن أذنى وقلت :

ــ على سبيل الفضول ، ....

ثم وجدت الفضول غير مقنع ، فعدلتها :

ــ على سبيل المغامرة ،

ولا هذه .. :

ــ المخاطرة

ــ العبث

ــ الاستهتار

ــ قلة العقل ، نعم هى قلة العقل .

ــ ما كل هذه المقدمات ؟ قولى ..

ــ لماذا لا نذهب نلقى نظرة على ما بالحفل ؟

ــ لكن هذا خطر .

ــ طالما أنهم لم يرغمونا ، أو يهددونا ، إذًا لن يعدو أن يكون مجرد (حفل) .. كما يمكننا أن نتلصص دون أن يعرفوا بوجودنا .

ــ وإن كان مجرد حفل فلماذا نذهب ؟

ــ لأنه قد لا يكون مجرد حفل ! ربما هو حفل خاص بطقوسهم ، وهذا مهم لنا لكى نعرف كيف نواجههم . لاحظ أن (فادية) و(ضاحى) ذهبا ، وهذان صارا (منهم) .

Looloo
www.looloolibrary.com

بدا التردد على وجه (سامى) :

ــ أرجوك ، أنا وعدتُ طفلاً أن أنقذه .

ــ حسنًا ، بشرط .

ــ أى شرط ؟

ــ لا تتركى يدى !

إحم إحم ..

* * *

13

الأشد مرحًا من الكوتشينة !

توقفت على بعد مسافة من الشاليه .. همست لـ (سامى) :

ــ شاليه ظريف جدًا . هيا نعود .

ثم استدرت ، لكنه أوقفنى :

ــ اثبتى ..

ــ ألا ترى الضوء الأحمر الذى يشع منه .. هل يحضّرون عفاريت أم ماذا ؟!

ــ هذا ما سنكتشفه حالاً .

تقدمنا قليلاً ، عدت أستوقفه :

ــ علينا أن نحدد من الآن موقفنا أمامهم : هل نحن ضيوف مدعوون محترمون ، أم متلصصون أوغاد ؟

ــ وما الفارق ؟

ــ لا ، الفارق كبير ! فى الحالة الأولى ستكون لنا صفة رسمية لكنهم سيكونون حذرين تجاهنا ، ولو يقومون بنشاط مريب سيوقفونه .

Looloo
www.looloolibrary.com

أما لو متلصصون فسنعرف نشاطاتهم المريبة إن كانت هنالك ، لكن إن كشفونا لن تكون ديتنا أكثر من رصاصة .

صحّح لى دون وعى :

ــ رصاصتيْن ..

ثم أضاف :

ــ إن للوغدنة ميزة هامة ، فإذا تم اكتشافنا كأوغاد يمكننا ادعاء أننا ضيوف محترمون ، أما لو تم تعريفنا كضيوف فلن تكون لنا فرصة ادعاء أننا أوغاد .

أعجبنى منطقه تمامًا ، أغمضتُ عينى وأملت رأسى :

ــ مضبـــــوط ..

ــ إذًا هل تفضّلى أن تكونى محترمة أم وغدة ؟

ــ أفضل أن تكون وغدًا .

ابتسم (سامى) وقال :

ــ إذًا تقدمى .

ــ لكن الجو هنا حلو ..

ــ هيا ..

ــ لو أردت أن تقول شيئًا رومانسيًّا من الأشياء المريعة التى تقولها لن أسد أذنى .

ــ هيا ..

زفرتُ فى يأس ، وتقدمت . وصلنا إلى الشاليه تمامًا .. كان ضخمًا ، يشع نصفه بالضوء الأحمر فى حين النصف الآخر مغرق بالظلام ، وله حديقة كبيرة ، ونوافذه كلها مفتوحة . بدأت و(سامى) بتفقد نوافذ النصف الأحمر . كان الحفل صاخبًا وإذ نظرنا من النافذة وجدنا :

مجموعة من الأطفال يرتدون الملابس الحمراء .. ويحتفلون بشكل طبيعى جدًا : آيس كريم ومثلجات ومقرمشات وعروض ترفيهية يقدمها لهم بلياتشو يترنح فوق ما بدا مسرحًا صغيرًا ، وكان هناك عدد من الأطفال الرضع ملفوفين فى لفافات حمراء .

النافذة التالية :

زوجان من الفتيات والفتيان ، يقف كل زوج منهما بجانب ، ويضعون أشياءً غريبة فوق رءوسهم كالجواهر والقلوب ، وكل شىء بالغرفة أيضًا أحمر اللون .

النافذة الثالثة :

رجلان كبيران فى السن ، يبدو عليهما الفخامة والعظمة ، ويرتديان الأحمـــر الذى لا يناســـب سنّهما على الإطلاق ، ويحتفـــلان بشـــكل هادئ ووقـــور .

Looloo
www.looloolibrary.com

وإلى هنا انتهت نوافذ النصف المضيء ، أما النوافذ الباقية فى النصف المظلم لا نرى منها شيئًا وإن كنّا نسمع أصوات الاحتفال .

ارتكنت إلى الحائط بين النافذتين الأخيرتين وتساءلت بدهشة :

ــ إذًا أين (ضاحى) و(فادية) ؟

ــ ربما أعادوهم إذ لم يرتدوا الأحمر .

ــ إذًا أين (عيسى) صاحب الحفل ؟

ــ ربما هو فى النصف المظلم .

هنا تنامت إلى أذنى عبارة :

ــ واو ! هذا الحفل حلو موت !

نظرتُ إلى مصدر الصوت القادم من النافذة قبل الأخيرة ، لا شك أن (فادية) هنا ، لكن لم أتبين فى الظلام أى شيء . إذًا لنعد . فعلنا ما بوسعنا ، ونكتفى بهذا القــدر . لكنّا إذ نستدير دوّت طلقة نارية مصحوبة بعبارة :

ــ قفا .

قال (سامى) بارتباك :

ــ أهلاً أستاذ (عيسى) ، هذان نحن أنا و(ليلى) ، الحقيقة أننا جئنا نلبى دعوتك لكن (ليلى) أحست ببعض الصداع ففكرنا أن نعود .

كان (عيسى) يرتدى رداء أسود غريبًا كالعباءة ، فوق بذلة سوداء ، ويبدو أنه يضع شيئًا كقلب دجاجة أو إوزة عملاقة فى جيب البذلة كما يضعون المنديل فلا يبدو سوى بعضه فقط . نظر لى وقال عاتبًا :

ــ كيف هذا ! تعودان قبل أن نقدم لكما واجب الضيافة ! تفضلا ، تفضلا ..

ــ شكرًا لك ، لكن رأسى تؤلمنى فعلاً وبحاجة للراحة .

ــ أنت تهينينى هكذا يا آنسة (ليلى) ، كيف تأتين إلى هنا وتعودين !

انتظرتُ أن يكمل الجملة حتى لا يقف معناها عند هذا الحد المريب . لكنه انشغل بالمفاتيح فى يده ليفتح باب الشاليه ، هل كان يغلق على المدعوين بالداخل ؟!

اقتادنا أمامه ولا زال يحمل المسدس ، لا أدرى إن كان نسى أن يودعه جيبه ، أم تعمد أن يقتادنا به ! إن أنصاف الأشياء التى يقولها ويفعلها ترسل خيالى إلى مساحات مرعبة ..

دلفنا إلى الشاليه ، فرفع (عيسى) صوته قائلاً :

ــ أيها السادة ، الآن فقط يمكننا أن نبدأ الحفل .

ثم صعد إلى المنصة وقال :

ــ فى حفل التعارف هذا ، أريد كلاً منكم أن يصعد إلى المنصة ويعرفنا بنفسه فى بضع ثــوانٍ ، اســتعدوا جميعًا فالكل سيصعد ســواء شــيوخ أو أطفال أو بنات أو أولاد .

Looloo
www.looloolibrary.com

ثم رمقنا بعين ثابتة وأضاف :

ــ أو ضحايا .

ثم تصاعد أداؤه تصاعدًا مسرحيًا وقال :

ــ فلنبدأ حفل التعارف الخاص بنا نحن : أوراق الكوتشينة !

* * *

14

الأشد مُحالاً من المستحيل !

تحولت إلى ذهول على قدمين :

هل أصدق أم لا ؟!

نصف من بالقصر يرتدى الأحمر ، والنصف الآخر الأسود كالكوتشينة !

هناك الشيوخ والأولاد والبنات كصور الكوتشينة !

هناك الأطفال من عمر سنة إلى عشرة كأرقام الكوتشينة !

الجميع يضع علامات على جسده كرموز الكوتشينة !

وقد بدأت أصدق حين بدأت أوراق الكوتشينة فى الصعود للمنصة ، بدأت بشيخ وقور فى عباءة سوداء ، واضعًا وردة سوداء فى جيبه وقال :

ــ يسعدنى أن أقدم نفسى لمن يجهلنى ، أنا الشايب ذو الوردة السوداء وهبت نفسى للعملاق (خافورا) .

دوّى التصفيق ، تبعته فتاة فى رداء أحمر ، وجوهرة حمراء فوق رأسها :

ــ وأنا البنت (الكارو) ، وهبت نفسى للعملاق (خافورا) .

تبعها فتى فى رداء أحمر ، ويضع قلبًا أحمر فوق رأسه :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ وأنا الولد ذو القلب الأحمر ، وهبت نفسى للعملاق (خافورا) .

ثم ـ لدهشتى ـ رأيت الطفل (عبد الوهاب) يصعد والجوهرة الحمراء تتدلى فى سلسلة على صدره ، وجدته يقول :

ـ وأنا الرقم عشرة من نوع (الكارو) ، وهبت نفسى للعملاق ...

تلجلج الصبى ، لاحقه (عيسى) :

ـ (خافورا) .

أعاد (عبد الوهاب) :

ـ (خافورا) .

وتناوبت الصور والأرقام فى الصعود إلى المنصة .

مال إلىَّ (سامى) وقال :

ـ أتصدّقين ؟

ـ من هو العملاق (خافورا) ؟

ـ هذه نقطة فرعية جدًا ، مجرد عملاق متحمس للعب الكوتشينة .

ـ وما دورى أنا وأنت فى هذا الذى نراه ؟

ـ انظرى .. ها هى (فادية) !

ـ يا سلام ! وهل تخطف نظرك إلى هذا الحد ؟

أراد (سامى) أن يكسّر رأسى ، لكنه انشغل بمتابعة الأحداث .. اعتلت (فادية) المنصة فى رداء أسود ، ولكن دون رموز . قالت :

ـ وأنا البنت ذات القلب الأسود ، غدًا أضع القلب الأسود على رأسى وأتم تحولى لأهب نفسى للعملاق (خافورا) .

وتبعها (ضاحى) :

ـ وأنا الولد ذو القلب الأسود ، غدًا أضع القلب الأسود وأهب نفسى للعملاق (خافورا) .

ثم صعد (عيسى) إلى المنصة :

ـ وأنا الشايب ذو القلب الأسود ، أول المتحولين والمشرف على تحول الباقين ، وهبتُ نفسى للعملاق (خافورا) .

همس لى (سامى) :

ـ يكفى هذا .. سيرى ببطء نحو الباب .. لا تستديرى ، ارجعى بظهرك .. ببطء

أطعته ، تزحزت فى كل مرة سنتيمترات قليلة لا تكفى لأن تُلاحظ ، ورحت أحلم بالهواء الحر فى الخارج ، حتى لم يعد بينى وبينه سوى الباب ، وفى اللحظة المناسبة مددتُ يدى للمقبض فهوت يد قاطعة على يدى . هكذا أفكر أن لم تكن اللحظة بالضبط (مناسبة) .

Looloo
www.looloolibrary.com

سحبتُ يدى ونظرت إلى الدماء التى انسالت للحظة ، ثم رفعتُ عينًا مذعورة إلى (عيسى) ، كانت هذه كفّه : حادة وقاطعة كأطراف الورق . فى لحظة وصَد باب الشاليه ووضع المفاتيح فى جيبه ، وفى اللحظة التالية أشار إلى أوراق الكوتشينة فأغلقوا كل المخارج والنوافذ ، ومع الإشارة التالية وجدنا الجمع يقترب منا يحاصرنا ، والدائرة التى نحن فى مركزها تضيق وتضيق حتى لامسونا ، وجدت يدىَّ تنعقدان خلف ظهرى ، ثم يقتادوننى و(سامى) نحو المنصة ، وصعد إلينا (عيسى) وقائلاً للحضور :

ــ وهذان الضحيتان اللتان سيكملان تحول البنت والولد ذوى القلب الأسود ، وذلك عندما يمنحانهما قلبيهما عند الفجر .

* * *

15

الأشد وضوحًا من الشمس !

نظرتُ إلى قلب الدجاجة فى جيب (عيسى) : أنا أرضى ذمّتك (فانتوم) ، هل هناك قلب دجاجة بهذا الحجم ؟! دوت طرقات على الباب ، صمت الجميع ، صرخت :

ــ هؤلاء قتلة ، ونحن رهائن! ليستدعى أحد البوليس!

انقضّت يد تغلق فمى ، تبدّل وجه (عيسى) إلى الارتباك ، إلى الذعر . تعالت الطرقات تتلوها عبارات حاسمة :

ــ افتح الباب ! بوليس !

شعرتُ بروعة الحياة ، لم أصدّق ما أسمع ، ولم أعد أسمع ، أو أرى ، هوى شىء ثقيل يضرب مؤخرة رأسى ، وانمحى كل شىء .

استعدتُ وعيى على شىء حانٍ يحتك بوجهى ليفيقنى .. هل كان وجه (سامى) ؟ تبينتُ بصعوبة (سامى) إذ يجلس جوارى إلى الأرض ، مقيد اليدين خلف ظهره ، وتم تثبيت قطعة لاصق إلى فمه ، مما يعنى أننى حصلتُ على نفس المعاملة .

ترى أين نحن ؟!.. وهل غادر البوليس أم لا ؟!..

Looloo
www.looloolibrary.com

الظلام يغلّف المكان إلاّ من شعاع خافت يأتى من الأعلى ، تعثرت كثيرًا قبل أن أقف ، ورحت أحاول تفقد المكان ، إنه يشبه القبو ، لابد أنهم قادونا إلى هنا ليخفونا عن البوليس . ليس من شىء هنا سوى بضع صناديق مملوءة بأوراق الكوتشينة ، ماكيت عملاق مصنوع من أوراق الكوتشينة ، فنران من أوراق الكـ ...

لا ! فنران حقيقية ! صرخت ، لكن مع اللاصق على فمى لم يخرج إلاّ عواء ، ذعر الفأر بنفس القدر وجرى ، احتك بجدران الماكيت فاهتز ، فى هذه اللحظة شعرتُ بالزلزال يضرب جدران الشاليه .

هل هذا الماكيت لشاليه ؟

قام (سامى) وراح يتفقد الماكيت باهتمام ، فتبعته : هو بالفعل يمثل الشاليه : نفس التقسيمة وعدد الحجرات وحتى القبو وجدت له مماثلاً . وكان الماكيت من الدقّة أن وجدتُ ماكيتًا صغيرًا جدًّا فى قبو الماكيت .

هكذا ، إذا اعتبـرنا هـذا الماكيت خريطـة ، فنحـن فى مكان عميق من الشاليه . ولا يوجد باب للخروج إلا فى السقف ، لابد أنه يأتى منه الضوء ، ولابد أنهم يستخدمون السلم للنزول والصعود إلينا .

ومن الواضح أيضًا أن الشاليه يتأثر بأى هزات تصيب الماكيت ، بمعنى أنى لو هدمت أوراق اللعب هذه الآن لانهار الشاليه ، وهو حل يروقنى بشدة فقط لو تجاوزنا (أنه سينهار فوق رءوسنا) ..

إذًا ما العمل ؟

انفتح باب السقف ، وهبط (عيسى) حاملاً مصباحًا ، ونظر إلينا إذ نقف حول الماكيت فيما يقول بتفهم :

ــ هذا ما كنت أخشاه ، هل اكتشفتما سر الماكيت ، لكن لماذا ضربتما جدرانه ؟ أتريدان أن يقع فوق رءوسكم ؟!

ــ امممممممم

رفع (عيسى) اللاصق عن فمى :

ــ الحقيقة يا أستاذ (عيسى) أنك رجل شهم ، لماذا لا تدعنا نمضى وكأننا لم نرك ولا أنت رأيتنا ، وبخصوص القلوب التى تريدها الأمر بسيط جدًا ، لو أنك أخبرتنى من البداية لأخبرتك أن عندى صديقة تحتفظ بالعديد من القلوب البشرية ، إنها تدرس الطب وتجمع هذه الأشياء ، بمجرد خروجنا سأحضر لك قلبين ، بل ، بل عشرة .

لوهلة لم تبد أية استجابة على وجه (عيسى) ، ثم راح فى نوبة ضحك طويلة حتى دمعت عيناه ، وقد بدأت أشعر بالملل ، لكنه قال أخيرًا :

ــ ظننتكِ أذكى من هذا يا آنسة (ليلى) ، ألم تلاحظى أنك تحدّثين (شايب) لا طفـلاً ؟! ذكّرتنى بحـكاية (التمسـاح والقـرد) ، هل تعرفينها ؟!

هززت رأسى أن لا ، فتابع :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ سأحكيها لك ، لقد صادق التمساح قردًا ، وكان يخرج إليه على ضفة النهر ، فينزل له القرد من فوق الشجرة ويلعبان ، ولكن والدة التمساح مرضت ، وقال لها الطبيب أن دواءها أن تأكل قلب قرد ، فاحتار التمساح ما بين أن يمنح قلب صديقه لأمه ، أو يتركها تموت ، وبالنهاية قطع أمره بأن يحصل على قلب القرد ، فذهب إليه ذات يوم ، وقد لفّق له قصة عن زفاف أخته فى عرض النهر ، ودعـاه لحضور ذاك الزفاف ..

رمقتُ (سامى) على ضوء المصباح إذ يتسلل بهدوء إلى موضع ما من الماكيت ، شعرتُ أنه يفعل شيئًا هامًّا ، شيئًا لا تفهمه لكنك توقن أو تأمل أنه هام . نظرت إلى (عيسى) : لم ينتبه لـ (سامى) ، كانت قد أخذته لذة الحكى :

ـ وتردد القرد فى القبول ، لأنه لا يدرى كيف يمكنه أن يذهب إلى عرض النهر وهو الذى لا يجيد السباحة ، فعرض عليه التمساح أن يحمله بنفسه فوق ظهره ، ثم يعيده ثانية ، وبالفعل انطلق معه إلى الحفل ، ولكن فى الطريق شعر التمساح بوخز الضمير ، فأفصح للقرد عن الحقيقة ، وهنا صاح القرد : ولماذا لم تقل من البداية ، إن كل قرد يموت عندنا فى الجماعة يعلّقون قلبه فوق الشجرة ، أعدنى إلى البر فأحضر لك عشرة قلوب ، لكنه ما إن أعاده حتى صعد القرد فوق الشجرة وقال شيئًا ما مثل أن (الصديق المخادع لا يستحق الصداقة) أو شيئًا كهذا مما يصلح قوله للأطفال .

فى هذه اللحظة كان (سامى) يعطى ظهره للماكيت ، حتى تتمكن يداه المربوطتان خلف ظهره مـن التقـاط شىء ما ، جعلتْ نظرتى إليه عابرة ثم أعدت رسم الاهتمام على وجهى تجـاه محدّثى . نظـر لى (عيسى) بتفحص :

ـ هل تأملين حقًّا أن يصحو ضميرى فجأة ؟

ـ أنت لست شريرًا يا أستاذ (عيسى) ؛ أنت ضحية مثلنا ، أنت فقدت حياتك من أجل ذاك العملاق (خافورا) .

ـ أنا كنتُ شيخًا فانيًا ، وعلى فراش الموت جاءنى رسول العملاق (خافورا) حاملاً صفقة : أن تعيش حياة أبدية ، لكن كورقة كوتشينة ، بدلاً من أن تموت الآن .

ربما يكون من المستحيل إقناع شاب بقبول مثل هذه الصفقة ، الشباب مغتر بشبابه وقوته وإقبال الدنيا عليه ، أما الشيوخ على فراش الموت ، فكما يقول الأجانب ، (قطعة كيك) . وافقته ، وكان على أن أبدأ بتجهيز بقية الأوراق .

يحضر (سامى) ليقف جوارى فى هدوء ، أتساءل :

ـ و(فادية) ... ظننتها تلميذتك !

ـ مثلها كالآخرين ، أنت قلتها بنفسك ، أن كل ما يقع يحدث ضمن إرادتهم ، وأنا نفسى لا أملك إرادتى ، ولا أنت ، ولا أوراق الكوتشينة بالخارج ، ولا زملاؤك فى الرحلة ؛ لأن إرادة العملاق (خافورا) سلبتنا

Looloo www.looloolibrary.com

إرادتنا لكن بدرجات ، البعض كالقطيع لا يُفكّر ، والبعض لا . البعض تحوّل والبعض لا . البعض صدّق أن أشياء مريبة تحدث والبعض لا . ولهذا كنت موقنًا أنكما ستحضران ، فالأمر فوق إرادتكما .

ــ واللعنات التى حطّت بـــ (رفاعى) ، و(عبد العال) ، و(قاسم) !

يبتسم (عيسى) :

ــ لا .. هؤلاء محظوظون ، كانت أحكامهم تمهيدية لا أكثر ، نوع من تسخين المحرّك قبل الانطلاق ، وقدر من المرح لا يؤذى أحدًا ، أما الأحكام الحقيقية فقد أصابت من رأيتهم بالحفل ، والآن ، هلاّ اكتفيتِ من الأسئلة ؟!

ــ سؤال أخير فقط يا أستاذ (عيسى) ، ماذا ....

يقاطعنى :

ــ أجّليه لما بعد الفجر ، لأننا فى الفجر ، سننهى الطقوس بشق صدريكما وإخراج القلبين وتحنيطهما حتى يصيرا داكنين ، ثم منحهما لـــ (فادية) و(ضاحى) ليضعاهما كعلامات فوق رأسيهما .

كل الأوراق حصلت على رموزها الخاصة : أوراق (القلب الأحمر) حصلت على قلوب طازجة ، وأوراق (الوردة السوداء) حصلت على ورود سوداء أحضرناها خصيصًا من موطنها الأصلى بـــ (فيتنام) ، وأوراق (الكارو) حصلت على مجوهرات من العقيق الأحمر معيّنة الشكل .

أما أوراق (القلب الأسود) فسوف .. أوه .. لقد أخبرتك للتو !

أقول فى ذعر :

ــ تأكد أن مهمتك لن تنجح ، وأن البوليس سيصل إليك ، و ...

يعود إلى ضحكه :

ــ أتدرين أنكِ أضحكتنى اليـــوم كما لم أضحك بعمـــرى ! ما أطيبك !

بالفعل المدينة مقلوبة والبوليس يبحث فى كل مكان ويسأل عن أية معلومات ولن يصل إلى شىء . أنتِ رأيته بنفسك يـــأتى إلى عقر دارنا ، ثم يمشى خالى اليدين دون أن يظفر بمعلومة واحدة ؛ فنحن لا نترك قرائن خلفنا .

جثث الضحايا ندفنها هنا تحت أقدامكما ، وجثث المتحولين نتركها للبوليس يمرح بها ، بعد أن نشوّه الوجه ونبعد أية إثباتات شخصية ، ونمنح المتحولين أجسادًا جديدة لها صفات الورقة : الشحوب ، الارتجاف ، النحول الشديد ، الهزال ، والحدة القاطعة ..

والأهم من هذا أننا نمنحهم (حياة) .. سيقول عنهم المحيطون : (مريبون) ؟ فليقولوا . سيقولون : (لا يكبرون) ؟ وما المشكلة ؟ أهم من هذا أنهم سيقولون : (أحياء) !

بضع ساعات وننعم بنتيجة عملنا ونسلم العملاق (خافورا) اثنتين وخمسين قطعة كاملة .

Looloo
www.looloolibrary.com

ــ ولماذا لا ترفض أن تساعده ، ولماذا لا تنفد بحياتك الجديدة وتهرب إلى مكـــ ... امممم

ثبّت (عيسى) اللاصق إلى فمى قائلاً :

ــ سأقودكما إلى مكان آمن ، فوجودكما مع هذا الماكيت غير ذى نفع .

ساعدنا على الخروج من القبو عبر سلم ، وقادنا إلى إحدى الغرف المظلمة فيما يبدو أنه أخلاها لنا ، حينها أدركت أن النصف المظلم من هذا الشاليه ليس مظلمًا ، وإنما مضيئًا بكشافات سوداء!

قيدنا إلى مقعدين وظللنا هكذا الليل كله ، وكنت فى حالة مريعة من الإنهاك تدفعنى إلى النوم ، وحالة مريعة من القلق تدفعنى إلى الصحو ، فقضيت الليل أتنقل بين النوم والصحو ، وقد ساعدنى هذا على ترتيب أفكارى ؛ كنت أفكّر فى هذا الذى يحدث ثم أنام ، فيعمل عقلى الباطن على تحليل الأحداث ومنطقيتها ، فأصحو بقناعة إضافية لم تكن موجودة قبل النوم .

نظرتُ إلى (سامى) ، كان نائمًا كالملاك .

الجميع يهب حياته للعملاق (خافورا) الذى يترك كل اهتمامات العماليق ويلعب الكوتشينة ، لكن عن طريق كوتشينة تليق به ؛ فهذا العملاق لن يمسك ورقة أصغر من كف اليد ليلعب بها !

يختار (عيسى) لحظات موت الأفراد ليقنعهم بالتحول ، وربما يدفعهم دفعًا إلى الموت فقط ليجد مدخلاً يقنعهم به ، وهو الحياة الأبدية عبر وسيط

آخر غير الجسد الآدمى ، لهذا قال لى (عبد الوهاب) حين زرته فى منزله أن الرجل طلب منه أن يقول أنه سيفعل كل شىء كى يلعب أحدهم الكوتشينة . له حق ألا يتذكر اسمه ، فـ (خافورا) هذا من أين يُنطق بالضبط !

وقد بدأ كل هذا منذ خمسة أيام أى منذ وصولنا إلى هنا ، وربما جئنا جميعًا تلبية لهذا النداء الخفى لا أكثر ، وسينتهى بعد ساعات مع الفجر ، وربما لهذا أيضًا تحدد موعد انتهاء رحلتنا بصباح الغد ..

الآن كيف يمكن أن نتصرف ! أنا لن أحصل على حياة طبيعية كبشر ، ولا على حياة أبدية كورقة كوتشينة ، وإنما على حياة منتهية كقتيلة مشقوقة الصدر منزوعة القلب مدفونة تحت القبو!

نظرت إلى (سامى) ، كان لا زال نائمًا كالملاك ، وقد أدركت أن الفجر لاح حين وجدت (عيسى) أمامى .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

16

الأشد وداعة من الملائكة !

أشرق (عيسى) بوجهى :

ــ صباح الـ .. موت !

انسلّت دمعة من عينى لرد التحيّة ، فيما يتابع (عيسى) :

ــ بقيت دقائق على الفجر ، وها أنا أجهز كل الأشياء حتى تصحو بقية الأوراق فيجدون كل شىء جاهزًا للاحتفال .. مستعدان ؟

كان (عيسى) فى أنشط حالاته ممسكًا بساطور عملاق ومبتسم . نظرت إلى (سامى) ، فكان ما برح نائمًا كالملاك .

سألنى :

ــ أتفضلين البدء بكِ أم بصديقك ؟

ثم نظر إلى صديقى فوجده ما انفك نائمًا كالملاك ، هكذا عزم أمره على أن يبدأ بى ولا يزعجه . بدأتُ فى الصراخ المكتوم علّه يستيقظ لكن الملائكة نومهم ثقيل ، ثقيل . رفع (عيسى) ساطوره إلىَّ وأنا أحاول التملص والصراخ وأتخيل جسدى مشطورًا نصفين وبينهما يفط القلب الذى سيأخذونه . أتلوى بجسدى فيما أصرخ فى أعماقى : « لا ! لا !!! ليست هذه

الميتة التى أرغب بها ! ليست هـذه الميتة التى أستحقها ! » .. أصرخ ، أبتعد بجسدى بقدر ما تستطيع حركتى المقيّدة بالمقعد ... أغمض عينى وأرمى بوجهى إلى الوراء .. يتناثر الدم على كل جسدى .

أفتح عينى .. المزيد من الدماء تحط على وجهى .. أفتحهما جيّدًا : إنه (عيسى) تتساقط أعضاؤه قطعة قطعة على الأرض ، وسط بحيرة من الدماء .

نظرت إلى قلبى : فى موضعه . نظرت إلى (سامى) : إنه يلهث بعنف ، وقصاصات أوراق صغيرة تسقط من يده المربوطة خلف ظهره ، ولم يعد نائمًا كالملاك .

نظرت إلى الأوراق المتساقطة ، دققتُ النظر فى القصاصات شديدة الصغر ، إنها قطع من رسم مألوف ، وبالتحديد رسم شايب من نوع القلب الأسود . نظرتُ إلى جثة (عيسى) المفتتة ، نظرتُ إلى (سامى) لحظة ، قبل أن أشيح بوجهى : الدماء والأشلاء الممزقة ليست من ذائقتى على الصباح !

يجب أن نستغل الوقت قبل أن تصحو أوراق الكوتشينة وتثور ضدنا ، لكن كيف نفعل أى شىء ونحن مقيدون هكذا ؟

أخيرًا فعل (سامى) شيئًا كأبطال السينما .. قام بمقعده وأمسك الساطور وراح يحاول أن يفك قيودى من خلف ظهره ، وهى عملية مجهدة وتستهلك الوقت ، ولكم من مرة هممتُ أن ألفت انتباهه أنه يمزق أصابعى

Looloo
www.looloolibrary.com

وليس قيودى ، ولكن لا بأس ، لن أعطّله ولينتهِ من هذا قبل أن تصحو أوراق الكوتشينة .

تساقطت القيود مع أذان الفجر ، مما يعنى أن الأوراق قد بدأت بالاستيقاظ ، تُرى كم نملك من الوقت قبل أن يجهزوا ؟ هل يغسلون وجوههم فى الصباح ؟ الخوف لو غسلوها تبوش !

فككت أوثقة (سامى) بسرعة ، أخذ المفاتيح من عباءة (عيسى) ومنحها لى قائلاً بحزم : " افتحى الباب واخرجى " وغاب عنى لا أعرف إلى أين ..

لم يطاوعنى قلبى على الخروج دونه ، فأمسكت بالساطور ووقفت أنتظره عند باب الشاليه .. وكنتُ كلما اقتربت منى ورقة كوتشينة أصوّب الساطور إليها وأشطرها نصفين .

لا تسلنى (فانتوم) ، كيف استطعت أن أقتل ، أنت تتحدث هنا عن حياة أو موت ، كما أن الأوراق كانت هزيلة جدًا وقد ساعدنى هذا . لكنى مع هذا لم أستطع أن أصوّب الساطور نحو أحد الأوراق بالذات حين جاءنى طالبًا القصاص لسيّده . كان يقترب ، وعينيه الدم ، ويردد :

ــ لماذا قتلتهِ يا طانط !

* * *

17

الأشد رعبًا مما سبق !

كيف أقتل الطفل الذى وعدته بالنجاة ؟! كان كل هذا أقوى منى ، أحنيت الساطور ، أغمضت عينين وعدتا بالنجاة ، ولم تفيا ، واستعددت أن أسلمهم نفسى . كان هذا حين بدأ الشاليه فى التهدم ، رأيت الأحجار تسقط تدك بعضهم ، رأيت البعض يرفع يديه يحمى رأسه ، البعض ينزل تحت منضدة أو كرسى ، لكن أفضل ما فى الأمر أنهم التهوا عنّى ، رفعت يدى محاذرة مثلهم .

جاء (سامى) ركضًا :

ــ ألم أقل لكِ أن تخرجى ؟

ودفعنى دفعًا عبر الباب . حاول بعضهم الخروج معنا ، لكن (سامى) زج بهم إلى الداخل ، وكانوا واهنين بالفعل كأنك لو نفخت بهم لطاروا ، وفق التعبير الشهير .

حجزهم (سامى) بالداخل وأغلق الباب بالمفتاح ، واستحثنى حثًّا للركض ، لكننى كنت أنظر إلى الطفل الذى ينظر إلىَّ ويصرخ :

ــ أنتِ وعدتنى يا طانط !

Looloo
www.looloolibrary.com

أنتِ وعدتنى يا طانط !

.

.

.

ركضنا إلى الفندق ، لحقنا بهم قبل أن يغادروا مباشرةً . كانوا يدسون الحقائب فى الحافلة ويصعدون إليها . وحين وصلنا اكتفينا من الركض وارتمينا على الأرض . التم الرفاق حولنا ، وتداخلت تعليقاتهم :

ــ أين كنتما ؟

ــ هل حدث شىء لكما ؟

ــ د. (قابيل) كــان يستعد لكتــابة تقرير أسود فيكما أنتما و(فادية) و(ضاحى) .

نظر إلينا د. (قابيل) ، كنا فى حالة مزرية فعلاً ويبدو من مصمصة شفاهه ، وتربيته على أكتافنا ، أنه عدل عن كتابة التقرير .

ساعدونا على الصعود إلى الحافلة ، اتخذتُ موضعى جوار الشباك ، وجلس (سامى) إلى جانبى . سألت (سامى) ولا زلت ألهث :

ــ لماذا افترضت أن بطاقة الشايب التى التقطتها من الماكيت تمثّل (عيسى) ؟

ــ التقطى أنفاسك أولاً

ــ قل لى : الماكيت كان ممتلئًا بالشبّاب فلماذا هذه ؟!

ــ لأن هذا الشايب لم يكن من الأوراق المكونة للماكيت ، وإنما كان ورقة محفوظة بداخل غرفة الماكيت الأخيرة ، وهى الغرفة السوداء المماثلة لغرفة الشياب الحمراء ، و(عيسى) شايب أسود فتوقعت أن الكارت المماثل له سيوجد فى هذه الغرفة بالذات .

ــ من الجيد أن فكرت هكذا .. لكن لماذا لم تمزقها فورًا

ــ لو مزقتها فى القبو لحبسونا فيه للأبد ، ولو مزقتها بعيدًا عن القبو لانتقمت منا الأوراق ، فاحتفظت بها قليلاً فى كُمى حتى أفكر فى طريقة تمكننى من تمزيقها وهدم الماكيت معًا حتى نتخلص من الشايب والكوتشينة معًا .. لكن غلبنى النوم ، وأفقت على (عيسى) يكاد يشطرك بالساطور .

ثم ضحك (سامى) :

ــ كان مشهدًا طريفًا !

ابتسمتُ بطرف فمى :

ــ هاهاها ! كنتَ لتتركه يقتلنى وأنت نائم كالملاك .

ــ بل قولى كالذئب ، نصف عينى كانت مفتوحة لكن تمثلتُ النوم ليأمن لى .

ألف سؤال برأسى ، أومئ بلا وعى :

Looloo
www.looloolibrary.com

ـ جيد .. جيد ..

ألتفتُ أنظر عبر النافذة .. انطلق أيها السائق ، لقد ضقت ذرعًا بهذا المكان القمىء الذى يحمل لى سؤالاً فى كل شبر : هل نجحنا فى القضاء عليهم ؟ هل ما قمنا به جرائم قتل ؟ هل انتهى هذا الكابوس .. لكن أكثر ما يؤرقنى هو عتاب (عبد الوهاب) : « أنتِ وعدتنى يا طانط ! »

نعم ، عزيزى ، لقد وعدت ولم أفِ .. آمنتُ أنك أفضل من الكبار ، أن الكبار سيئين .. تمنيت لو تمكنت من مساعدته و(ضاحى) و(فادية) .. لكنى لم أستطع حتى مساعدة نفسى ، ولحسن الحظ أن امتلك (سامى) تلك البديهة .

ليغفر لى ذلك الطفل الذى لم أف بوعدى معه ، ليغفر لى الطفل الذى تركته خلف باب موصد لشاليه يسقط .. ليغفر لى الطفل الذى يلتصق بزجاج نافذتى الآن !

* * *

18

الأشد سذاجة من (رفعت) !

اتسعت عينى رعبًا : صرخت !

حـاول (سـامى) تهدئتى .. كان الطفـل ينقر برقّـة وإصرار على الزجاج .. فتحه (سامى) وسأله :

ـ ماذا تريد ؟

ـ أريد أن أودّع طانط .

ثم نظر لى وقال :

ـ لماذا تركتنى يا طانط ؟

سألته بصوت مبحوح :

ـ كيف نجوت ؟

أشار إلى موضع بعيد وقال :

ـ أنقذنى عمّو .

نظرت فإذا بشخص فى ثياب المهرج يقف أمام مقطورة مكتوب عليها (عروض الأطفال) ، ويلوّح لى ..

Looloo
www.looloolibrary.com

شعرت بالدوار .

هل كان المهرج هو المحرك لكل هذا ؟

كيف نسيته وقد رأيته بعينى من نافذة الشاليه يمرح مع الأطفال ؟!

قال الطفل :

ــ أنا أحب عمّو جدًا يا طانط ، هو أنقذنى من الموت أول مرة فى المقطورة ، وأنقذنى مرة أخرى فى الشاليه ، وأنقذ العديد من أصحابى لكن بعضهم للأسف مات فى انهيار البيت ، ولكن عمّو وعدنى أنه سيحضر لى أصحابًا جددًا غير الذين ماتوا . وعمّو ينفذ وعوده ، ليس كل الكبار سيئين يا طانط !

أعدت النظر ، كان المهرج يدعو الأطفال للعرض ، العرض الذى أعرف إلام سينتهى بالضبط .

إذًا لم يكن (عيسى) أكثر من (الرجل الثانى) .. وكان المهرج هو (زعيم العصابة) . استحثثت السائق حثًا على التحرك ، لكنه قال لى :

ــ عندما يصعد المشرف .

ــ وأين هو ؟

ــ هناك !

وأشار إلى هناك . أعدتُ النظر إلى ذات المكان ، كان المهرج واقفًا باسطًا يده فى ترحاب إلى د. (قابيل) الذى يخطو إليه .

صعد د. (قابيل) إلى الحافلة ، فبدأنا بالتحرك . قمتُ من مقعدى وذهبت أجلس جواره فى مقعد الصف الأول ، قلتُ دون أن أنظر إليه :

ــ إذًا لم يكن (عيسى) كل شىء .

ــ إنه شايب ، لكن قبل الشايب هناك (جوكر) .

ــ وكان المهرج هو الجوكر ، هو الذى يقتل ويساوم على الحيوات ، إذًا ما دورك أنت ؟

ــ ألا تعرفين أن بالكوتشينة جوكرين ؟!

التفتُ أنظر إليه بلا فك ؛ إذ سقط فكّى .

* * *

Looloo
www.looloolibrary.com

خاتمة

(أيها الراحل تفكّر؛ سلّمة الحاضر نخرة ، سلّمة الماضى ذكرى ، سلّمة الآتى خطِرة ، فتوقف تزن الخطوة ، وتأمّل .)

مططتُ جذعى وكتبت :

ــ هاه ! ما رأيك ؟

ــ لا بأس !

إنكِ لأشد تسليةً من كيس لب ! وإننى لأرى بعين الخيال العملاق المدلل الصغير (خافورا) يفنّد أوراق الكوتشينة بين يديه ، وينادى رفاقه العماليق :

ــ (كوشانكتان) ، (حاديسيرا) ، (إمازاتون) .. تعالوا جميعًا .. ها قد جهّزت لكم الكوتشينة ...

ثم يستدرك بصوت عميق :

ــ ما رأيكم أن نلعب شايب بالأحكام ؟!

* * *

العــدد القــادم

حلقــة رعــب

سأقول .. سأقول

« وهل قلتُ إننى لن أقول ؟! »

إن حجمه صــغير ، ولكن اتصــاله الدائم بالإنترنت يفسر الإمكانيات المهــولة التى يحويها ، سيعلمنى الإنجليزية بالممارسة ، وســوف يقــرأ لى كــل ما يظهــر على شاشتى من نصوص ، وذلك بمجرد أن أفتــح الجهــاز . كما أنه يوفر لى مجموعة من الأصوات يمكننى أن أختار من بينها ما يناسب أذنى ، وبالفعــل فــإن المجمــوعة منوّعــة بما يلبى كافــة الأذواق ، فى البداية كان صــوتًا لامرأة تتدفق حيوية وتقول بالإنجليزية :

« مرحبًا ، أنا صوت (كريستين) العملى ، ذو اللكنة الأمريكية » ..

ثم صوت هادئ :

« مرحبًا ، أنا صوت (جورج) الناضج ، ذو اللكنة البريطانية »

ثم صوت حزين :

« مرحبًا ، أنا صوت (مايك) المجروح ، ذو اللكنة الأمريكية » توقفت عند هذا الصوت كثيرًا ، برغم انسياب الأصوات الأخرى فى الخافية ... تلك

Looloo www.looloolibrary.com

النبرة المبحوحة التى تذكرك بطير شريد قـد غادر سربه وضل الطريق ، أو طفل صغير نسيه أبواه فى وادٍ من ثلج ، أو مطرب فقد حنجرته وانفض المعجبون من حوله ، تشعر أنه فى عالم وحده .

حين تسمع صوته ، كأنه يريد أن يقول كلامًا ولكنه يؤثر أن يحفظه داخله فيطلع صوته همسًا يخاطب قلبك لا أذنك .. كأنه يريد أن يفصح عن شىء من غير الممكن الإفصاح عنه فيتمنى لو تعرفه وحدك . لا يمكننى أن أقول إن صوته جميل ، ولكننى أقول إنه شديد الجاذبية ... وقد عرفتُ منذ اللحظة الأولى أن هذا الصوت وراءه سر ، وأن صاحبه شخص حنون ، وأنا لست أملك فراسة أو ميزة خاصة كما ذكرت بالبداية ، ولكن صدقًا ، لو كنتم سمعتموه لكان أصابكم الشجن ، وغزاكم الحزن من دون أن تدروا لهذا سببًا .

ثم شىء آخر لم يكن ليمر علىَّ دون أن أتوقف عنده ، ألا تلاحظون أن اسمه له ذات رنين نطق اسمى .. ذات الحروف فيما عدا حرفًا واحدًا .. حينها شعرت أن هذا نداء خفى من (مايك) إلى (مايا) أن تلتقطه من بين الأصوات ، و(مايا) لا ترد النداء .

بدون كلل أو ملل راح (مايك) يقرأ لى كل ما يظهر على شاشتى ؛ رسائل النظام ، بريدى الخاص ، قطعًا من نصوص أختارها لتنمية اللغة . صوت (مايك) الحنون ذو النبرة الحزينة كان يعرف متى يبطئ أو يسرع ،

وعندما يمر بكلمة متعددة المقاطع يتوقف لثانية ، ثم يعيد نطقها ببطء كى تعلق بذاكرتى .. وأنا ، مثل تلميذة مجتهدة أظل أتذكرها كما أتذكر كل كلمة نطقها (مايك) من أجل (مايا) .

تلك الخطة التى وضعتها لبناء مستقبلى كانت تسير على ما يرام ، ولكن المجهود المبذول مع الدراسة وأعمال المنزل وبينما أتبع حمية .. كان مجهدًا جدًا ، أما وحمى الاجتهاد قد أصابتنى فلم أكن لأضيع دقيقة دون أن أستغلها ، فبعد عمل يوم شاق ، جلست إلى الحاسب أتطلع إلى المزيد من تعلم الإنجليزية ، فوضعت نصًا لـ (مايك) من الأدب الإنجليزى يقرأه علىَّ ، غير أن عبارة اخترقت أذنى :

« أرجـو أن ترتاحى الآن ، (مايا) ، كمـا أفضل أن تتناولى وجبة مغذية » ..

رجعت بمقعدى للوراء وتصلبت دقيقة ، ثم مددت يدًا مرتجفة أحرك الماوس نحو إعادة التشغيل ، فانطلق صوت (مايك) بالعبارة الأصلية :

« حدث ذات مرة ، أن فتى يدعى (توم) سمع عن بلاد غريبة » ..

أوقف ، وأعيد التشغيل :

« حدث ذات مرة ، أن فتى يدعى (توم) سمع عن بلاد غريبة »

أوقف وأعيد كالمجنونة :

Looloo
www.looloolibrary.com

« حدث ذات مرة ، أن فتى يدعى (مايك) .... »

وتمر لحظات من صمت ...

« أحب فتاة تدعى (مايا) »

والآن ، أنت تعرف أكثر من اللازم !

إلى لقـــاء !

أيها القادم إليَّ ، أيها الراحل عنى ، أيها العـابر فـوق أحرفى واطئًا جرحى ، داهسًا وجعى ، مبعثرًا نزفى ، مشـاهدًا ــ عـن كثب ــ حبى وخوفى وأعمق أسرار نفسى ، ثم مديرًا ظهرك إليَّ كأن لم تكن .

هدّئ مسيرك ، سأتبعك .

سنلتقى ، ولو لم تصل إلى ، لوصلت إليك . اقبع جوار الحائط ، ادخل داخل الحائط ، اختبئ تحت فراشك ، أخفِ وجهك ، اكتم صوتك ، ستكون لك زلّة ؛ ستفضحك أنفاسك ، أو تسعل فجأة . ثم لن ينفعك طول الاختباء .

ها قد انتهيتُ ، ويمكننى أن أقول : " See you "

وبالعربية تصبح : « مصير الأحياء إلى لقاء ! »

Looloo
www.looloolibrary.com

روايات مصرية

سالى عادل

5/1/016

فى كتاب الحب والرعب سطر، يضمن تدفق الأدرينالين إلى دمك، قبل أن يسفك دمك!

الحب والرعب 5

شايب بالأحكام

لماذا فى أوقات المرح فى رحلتنا الجامعية لا نلعب الشايب بالأحكام؟
لماذا لا نحكم على (عبد العال) قصير القامة بأن يردد: " أنا مش قصيّر قزعة، أنا طويل وأهبل"، وعلى (رفاعى) النحيف بأن يردد: " أنا قد الفيل، وأوزن برميل"، أما (قاسم) الوسيم فسنزفه بـ: " الا الا الا يا ميمون.. وكمان الا الا أكون ممنون!" ؟
ثم لماذا فى الصباح لا نندهش حين نجد (عبد العال) وقد صار أطول، و (رفاعى) وقد صار أسمن؟، أما (قاسم) فسنوجد الاختلافات بينه وبين القرد.

الخط الساخن
19350

العربية الحديثة

الثمن فى مصر 7 ج
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم